سينية المتلمس الضبعي: "أعــاذل إن المــرء"

في ضوء نظرية النظم

إعـــداد

دكتور/ عبد الهادي أحمد سيد عبد العال
المدرس في قسم البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بالمنوفية

مقـــــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، حمدا توجبه سوابغ نعمه، ولنعمة واحدة لا يوفيها بعض حقها حمد الحامدين، دهر الداهرين،وأبد الآبدين، وصل اللهـم وسـلم وبارك وأنعم على سيد الأولين والآخرين،وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد ...

فإنه من المركوز فى الطباع أن الشعر ديوان الأمم،ومرآة حياتها، بكل دقائقها وجلائلها،ما لها وما عليها،ومن ثم ترى في شعر العرب صورة العربي،بما له من قيم رفيعة تعتز بها الإنسانية على مر عصورها،من الكرم،والنجدة ،والذود عن الديار،ومراعاة حق الجار،وصيانة حرماته= ... وما عليه من تصرفات عدوانية لا ترتبط بتلك المكارم،ولا تتحاز إليها،مثل:الإغارات ، وانتهاك الحرمات،ووأد البنات...وكلها انحدارات لا يشفع لها إلا وجود الخير والشر في حياة البشر =فضلا عن وصف كل ما يتصل به -العربي - من صحراء،وجبال،وأوابد ...

ومعلوم-أيضا أنه الميدان الذي تنازعوا فيه قصب السبق على البيان؛ومن ثم كان جديرا بالوقوف معه والنظر فيه لمعرفة كيف فكـر القوم؟وكيـف أداروا معانيهم،ففجروا ينابيع اللسان،وصقلوا نظومه -أصواتا،ومفردات،وجملا -حتى استوى واكتمل وتهيأ لحمل كلام الله الخاتم الخالد إلى عباده ؟.

ومعلوم -أيضا-أن تحليل النص بلاغيا باب رحـب فسـيح نحـو التـذوق البلاغي؛لأنه المسار الطبعي للبحث؛إذ إن الجانب التقعيدي قد توافرت عليـه عقول من الدقة والإحكام بحيث لم تترك فيه مجالا لإضافات إلا قليلا[1]..

---

[1] يشهد لهذا قول بعضهم"الجد في استخلاص المزايا البلاغية للأساليب أجدى في خدمة العلم من الوقوف أمام القواعد تبويبا وتقسيما ومناقشة"من أساليب القرآن المجاز العقلي د عبدالرازق محمد فضل ص ٢مط التركي من دون.

فضلا عن كونه -التحليل البلاغي للنص -هو روح الإمام عبد القاهر في أسراره ودلائله،والذي بقي من فكره فسيحا متراحبا يتسع مداه ليشمل ويستوعب الدراسات البلاغية إلى آخر الزمان[١] .

كما أنه -التحليل البلاغي للنص -أقرب المناهج في كشف خصائص اللغة التي تتمثل فيها خصائص الأمة الناطقة بها في كل مقوماتها:عقدية وفكرية ونفسية واجتماعية[٢]... ،وأقدرها على كشف ما وراء الكلمة والصورة من خطرات وهواجس ووساوس،يقينا أن مناقشة الكلمة والخصوصية والتركيب إنما هي إبحار خلال مقاصد النفس واهتماماتها، وتنقيب في صميم ناطقية الإنسان-عقله وقلبه ووجدانه -التي صاغها في لغته التي تخالط نفسه،وتحمل آماله وآلامه وكل ما أحسه من خير وشر وهدى وضلال...

ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى النبع الأول للبيان،إلى التذوق المستضيء بهوادي النظوم العربية،ومعايشة نتاج المفلقين من فصحاء هذا اللسان؛لأن بيانهم يمثل الصورة المثلى لسنن الأمة في بناء بيانها،بدءا بالحرف وصوته،وانتهاء بالنص ونظمه، حتى تتجلى لنا طرائق القوم في صوغ كلامهم،والتعبير عن أغراضهم ،عسى أن تكون في ذلك العصمة من الوقوع في براثن مناهج التحليل الحديثة التي تنكبت السنن اللاحب في تذوق النصوص وتحليلها، وانحرفت بها في بنيات معوجة،أوقعت سالكيها في دياجير الاضطراب والوسوسة،وحالت بينهم وبين غاياتها ، فأضحت طلاسم لا يهتدي في خواتيمها إلى شيء ذي بال تلتقي حوله الأذواق،وتقر له العقول = والتي لا هم لها إلا العبث بمقدسات الأمة،وتدميرها، وطمس تراثها، وإلغاء شخصيتها

---

[١] ينظر:التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان أ د أبو موسى ص٢٣ط الثانية١٤٠٠هـ-١٩٨٠م مكتبة وهبة، البحث البلاغي بين النظرية والتطبيق أ د/علي عبدالحميد أحمد عيسى ص١ط الثانية-٢٠٠٨-٢٠٠٩م

[٢] ينظر: أسس التحليل البلاغي في التراث العربي أد/علي عيسى ص أ- ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

بحجة التطوير والتنوير ومسايرة العصر،وهدفها الحقيقي المباعدة بين أبنـــاء الأمة وبين لغتها، وتخريج جيل أعجمي اللسان والفكر معا ؛ليتمكنوا من هـــدم كل ما يقوم عليه بناء حضارتها....

ولذلك فقد حاولت في هذا البحث تطبيق منهج التحليل البلاغي المتمثل في نظرية النظم على قصيدة المتلمس الضبعي للتعرف على طريقة الشاعر فـــي بناء قصيدته -مفرداتها،وتراكيبها،وأخيلتها -ومدى التلاؤم بين نسيجها،وما تأثر به في نظمه من مؤثرات في محيطه العام والخاص،مع المقارنة بين ما عليـــه النظم وما يحتمله،وبينه وبين غيره ما تيسر،فضلا عن كشف ما في القصـــيدة من الدلالات النفسية والعادات العربية...على أمل التوجيه من شيوخ هذا العلم الشريف...

توطـئة

المتلمس الضبعي هو:جرير[١] بن عبدالمسيح بن عبدالله بن دَوفَن بن حرب بن وهب بن جُلَيّ بن أحْمَس بن ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار،شاعر جاهلي من أهل البحرين،وهو خال طرفة بن العبد،وأمه يقال لها سُحْمة زياد بن عوف بن حارثة بن قُتيرة.

ولد في أخواله بني يشكر بن بكر بن وائل عام 525م-على ما ترجح[٢] - في قرية من قرى وادي العرض الذي ذكره في شعره وصور الطبيعة فيه ،ومكث فيهم حتى كادوا يغلبون على نسبه،ولذلك قيل:إنه ضبعي يشكري[٣].

ولا يعلم الكثير عن طفولته ولا عن صباه،بدأت أخباره تظهر مع تولي عمرو بن هند أمرالملك في الحيرة،ولعله كان قد تنقل في رحلات من بلاده حتى ألقى عصا التسيار في مقر الملك قبل توليه الحكم بزمن،لكنه انتقل إلى الشام هربا من غدره،فعاش بعيدا عن وطنه الذي يتنازعه الحنين إليه ،فيرده

---

[١] وقد اختلف في اسمه واسم أبيه،فقيل :هوعبد المسيح بن جرير،وقيل:جرير بن زيد،وقيل:جرير بن العزى،وقيل:عمرو بن الحارث ينظر:شرح القصائد السبع الطوال ١٢٣،الأغاني ٢١٩/٢٤،خزانة الأدب ٧٣/٣.

[٢] ينظر مقدمة ديوان المتلمس ص٢١ تح وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي ط معهد المخطوطات العربية القاهرة-الثانية ١٤١٨ه-١٩٩٧م.

[٣] ينظر في ذلك:طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ص١٣١ تح/أ محمود شاكر ط دار المعارف ١٩٥٢م،الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٨١ تح/أحمد محمد شاكر ط دار المعارف ١٩٦٨م،البيان والتبيين للجاحظ ١٩٦/١ تح المحامي فوزي عطوي ط دار صعب بيروت-الأولى-١٩٦٨م،تاريخ اليعقوبي المعروف بابن واضح ٣٢٠/١ مط الفرىبالنجف١٩٥٨م،شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري ص١٢٣ تح عبدالسلام محمد هارون ط دارالمعارف ١٩٦٣م،الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢١٧/٢٤-٢٢٠ تح سمير جابر ط دار الفكر العربي بيروت-الثانية من دون،جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص٣٩٢ تح عبد السلام هارون ط دار المعارف ١٩٦٢م،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب-عبد القادر بن عمر البغدادي ٧١/٣ وما بعدها مط بولاق ١٢٩٩م، الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري ١٧/١ موقع الوراق الإلكتروني،تراجم شعراء الموسوعة الشعرية ٧٩٨/١ موقع يعسوب الإلكتروني،مقدمة ديوان المتلمس ٨-١٢، ٢٠-٢٢.

إباءٌ أن يحنث بعهده الذي قطعه على نفسه ،حين خاطب ناقته :

حنّت إلى النخلة القصوى فقلتُ لها : ∴ بسلٌ عليك ألا تلك الدهاريسُ[١]

أو أن يذل لرجل أقسم على حرمانه مما تجود به أرضه ،وأنفةٌ من أن يعيش في ظل ملك غادر، يبطش بكل القيم ، ولا يرعى الحرمات والذمم ، وكيف يرضى ذلك وهو القائل:

ولا يقيم على خسف يراد به ∴ إلا الأذلان : عير الحيّ،والوتد[٢]

والمردد دائما :

وفي البلاد إذا ما خفتَ نائرةً ∴ مشهورةً عن ولاة السوء مبتعد[٣]

ومن ثم فقد صوّر مجتمع هذا الملك أقسى تصوير في قوله:

إن الخيانة و المَغَالَةَ و الخنا ∴ والغدرَ أتركُهُ ببلدة مُفسد [٤]

والمتلمس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو:

فهذا أوانُ العِرضِ حَيَّ ذُبابُهُ ∴ زَنَابيرُهُ والأزرقُ المتلمسُ [٥]

وهو من الشعراء الجاهليين المقلين المفلقين، قال عنه الأصمعي: "المتلمس رأس فحول ربيعة[٦]"وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة[٧] من شعراء الجاهلية

---

[١] ديوانه : ٨٥.
[٢] ديوانه : ٢٠٨ .
[٣] ديوانه : ٢١٣.
[٤] ديوانه : ١٤٦.
[٥] ديوانه : ١٢٣.
[٦] فحولة الشعراء-الأصمعي ص٣٠ تح/محمد عبدالمنعم خفاجي وطه الشربيني المطبعة المنيرية ١٩٥٣م.
[٧] بناء على قلة شعره،وليست القلة وحدها مقياس مكانة الشاعر تضعه أوترفعه.

، وقرن به سلامة بن جندل، وحصين بن الحمام ، والمسيب بن علس[١]، وقال عنه ابن قتيبة نقلا عن أبي عبيدة : واتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة:المتلمس، والمسيب بن علس،وحصين بن الحُمام المُرِّيّ[٢].

ومما يدل على جودة شعره وتقدمه ما نقله أبو بكر الزبيدي في "طبقات النحويين واللغويين"عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: " كانت العرب إذا أرادت أن تنشد قصيدة المتلمس[٣] توضأوا لها." [٤].

ويشهد لذلك-أيضا-أنه قد تأثر بشعره كثير من الشعراء- جاهليين[٥]، ومخضرمين[٦]، وإسلاميين[٧] - فأخذوا عنه ، واقتبسوا منه لكثرة ترديدهم، أو حفظهم أشعاره .

أما وفاته فكانت بمدينة بصرى من أعمال حوران في سورية[٨] عام 43ق هـ 580 - م على ما ترجح[٩]، وكان له ابن يقال له:عبد المنان ،أدرك الإسلام ، وكان شاعرا،وهلك ببُصرى ، ولا عقب له.[١٠]

---

[١] طبقات فحول الشعراء ١٣١.
[٢] الشعر والشعراء١٨٢،وينظر الأغاني ٢٤/٢١٩،٢٢٠.
[٣] يريد الميمية التي مطلعها:يعيرني أمي رجالٌ لا أرى أخا كرم إلا بأن يتكرَّما. ينظر مقدمة الديوان ٣٧، والبيت في الديوان ١٤.
[٤] طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٣٣ تح/محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٥٤.
[٥] كدريد بن الصمة،وعمرو بن حُنَيّ التغلبيّ،والكُلَحَبَة العُرَنيّ. ينظر في ذلك مقدمة الديوان٣٩.
[٦] كعمرو بن شأس الأسديْ. السابق.
[٧] كالفرزدق، وبشار...السابق.
[٨]ينظر : سمط اللالي للميمني ١/٧١ موقع الوراق الإلكتروني، الأغاني ٢٤/ ٢٢٠، تراجم شعراء الموسوعة الشعرية ١/ ٧٩٨.
[٩] ينظر مقدمة الديوان ص٢٤.
[١٠] ينظر:الأغاني٢٤/٢٢٠.

القصيـــــــــــــــــدة [1]

١- أعاذلُ إن المرءَ رَهنُ مصيبة ∴ صريعٌ لِعَافِي الطير أو سوف يُرْمَسُ

٢- فلا تَقْبَلَنْ ضيما مخافة ميتَة ∴ وموتن بها حرا وجلدك أمْلَسُ

٣- فما الناس إلا ما رأو أو تحدثوا ∴ وما العجز إلا أن يُضاموا فيجلسوا

٤- فَمِنْ طَلَبِ الأوتار ما حَزَّ أنْفَهُ ∴ قُصَيْرٌ وخاض الموتَ بالسيف بَيْهَسُ

٥- نعامةُ لمَّا صَرَّعَ القومُ رهطَه ∴ تَبَيَّنَ فى أثوابه كيف يلبسُ

٦- ألم تر أن الجَوْنَ أصبح راسيا ∴ تُطِيفُ به الأيام ما يَتَأيَّسُ

٧- هَلُمَّ إليها قد أُثِيْرَتْ زُرُوعُها ∴ وعَادَتْ عليها المَنْجَنُوْنُ تَكَدَّسُ

٨- وذاك أوَانُ العِرْضِ حَيَّ ذُبَابُهُ ∴ زَنَابِيْرُهُ والأزْرَقُ المُتَلَمِّس

٩- فإن يُقْبِلُوا بِالوُدِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِهِ ∴ وإلا فإنا نحن آبَى وأشْمَسُ

١٠- وجمعُ بنى قُرَّانَ فَاعْرِضْ عليهم ∴ فإن يَقْبَلُوا هَاتَا التى نحن نُوْبَسُ

١١- يكون نَذِيْرٌ من ورائى جُنَّةً ∴ ويمنعنى منهم جُلَىٌّ وأحْمَسُ

١٣- فإن يك عنا في حُبيب تَثَاقُلٌ ∴ فقد كان فينا مِقْنَبٌ ما يُعَرَّسُ

المتأمل في القصيدة يجدها على خمسة أجزاء :

الأول : ما ذكره في مطلعها من أن الإنسان مرتهن بأجله، ميت لا محالة ،ومن ثم فلا ينبغي أن يقبل الضيم ، ولا يليق به أن يرضى بالذل ، وجاء في الأبيات (١،٢،٣) :

---

[1] هذه رواية الديوان ، وهناك روايات أخرى سأعرض لها - إن شاء الله - في مكانها، وأبين الوجه فيها.

أعاذلُ إن المرءَ رَهنُ مصيبة ∴ صريعٌ لِعَافِي الطير أو سوف يُرْمَسُ

فلا تَقْبَلَنْ ضيما مخافة مِيتَة ∴ وموتن بها حرا وجلدك أمْلَسُ

فما الناس إلا ما رأو أو تحدثوا ∴ وما العجز إلا أن يُضاموا فيجلسوا

الثاني: ما ذكره عقب هذا المطلع من حال من احتال لإدراك ثأره ولم يقم على الضيم،إذ ذكر قصة قصير وبيهس ، وحال هذا الحصن:(الجون)، وهو حصن باليمامة[1] ، وكيف استعصى على تبع لما غزا القرى ، وجاء في الأبيات (٥،٤،٧،٦) :

فَمِنْ طَلَبِ الأوتار ما حَزَّ أنْفَهُ ∴ قُصَيْرٌ وخاض الموتَ بالسيف بَيْهَسُ

نعامةُ لمَّا صَرَّعَ القومُ رهطَه ∴ تَبَيَّنَ فى أثوابه كيف يلبسُ

ألم تر أن الجَوْنَ أصبح راسيا ∴ تُطِيفُ به الأيام ما يَتَأَيَّسُ

عصى تبعا أيام أُهلكت القُرى ∴ يُطَانُ على صُمِّ الصَّفِيحِ ويُكْلَسُ

الثالث: ما ذكره فى تحدي النعمان والسخرية منه وتهديده ،وجاء في البيتين (٩،٨) :

هلم إليها قد أثيرت زروعها ∴ وعادت عليها المنجنون تكدس

وذاك أوَانُ العِرْضِ حَيَّ ذُبَابُهُ ∴ زَنَابِيْرُهُ والأزْرَقُ المُتَلَمِّس

الرابع : ماعاد فيه إلى دفع الضيم عنهم ، وبيان ما هم عليه من الإباء والامتناع من قبول الضيم ، في البيتين(١٠،١١) :

---

[1] سمي بذلك للونه: ينظر سمط اللآلي لأبي عبيد البكري تح أ/عبدالعزيز الميمني وآخرين مط لجنة التأليف١٩٣٦-١٩٣٧.

فإن يُقْبِلُوا بِالوُدِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِهِ ∴ وإلا فإنا نحن آبَى وأَشْمَسُ

وجمعُ بنى قُرَّانَ فَاعْرِضْ عليهم ∴ فإن يَقْبَلُوا هَاتَا التى نحن نُوْبِسُ

الخامس : ما ختم به من بيان عددهم وعدتهم ، واستعدادهم للقتال ، وسهرهم فى بلوغ المجد ،عودا إلى ما بدأ به ، وذلك في البيتين (١٢،١٣) :

يكون نَذِيْرٌ من ورائى جُنَّةً ∴ ويمنعنى منهم جُلَىٌّ وأحْمَسُ

فإن يك عنا في حُبيب تَثَاقُلٌ ∴ فقد كان فينا مِقْنَبٌ ما يُعَرَّسُ

وبهذا تنتظم أجزاء القصيدة فى سلك واحد يجمعها مطلعها في إثارة الهمم إلى رد الضيم ، والحض على القيام فى وجه الأعداء ، وركوب الإباء ...

صلة المطلع بالمقصد في القصيدة :

هذه القصيدة قالها المتلمس وقد وقع خصام ونزاع بين بنى ضبيعة بن ربيعة– رهط المتلمس وقومه – وحلفائهم بني ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة[١] ،أو بين ضبيعة وبني حنيفة باليمامة[٢]،أوبينهم وبين بني بكر بن وائل بن حرب[٣] ، فهناك عزل ولوم ومنازعة ومجازبة...

وعليه فالغرض منها هو الحض على دفع الضيم وإدراك الثأر ، وركوب الإباء من التزام العار...

ولهذا تجد المطلع هنا متلاقياً مع هذا الغرض متجانساً معه ، تدبر قوله في مطلعها:

---

[١] ينظر الأغاني ٢٢٠/٢٤، نقلا عن أبي عبيدة.

[٢] ينظر الخزانة ٢٧٠/٣ بولاق.

[٣] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، والتبريزي١٠٢/٢ ط عالم الكتب بيروت من دون.

أعاذل إن المرء رهن مصيبة ∴ صريع لعافى الطير أو سوف يرمس

فلا تقلبن ضيما مخافة ميتة ∴ وموتن بها حراً وجلدك أملس

تجده في بيان حكم عام وقضية مسلمة ،هي أن الإنسان مرتهن بأجله ، فهو ميت لا محالة ، ومن ثم فلا ينبغي عليه أن يقبل الضيم ، أو يرضى بالذل ، وبهذا أضحى المطلع معرضا تجلت فيه قدرة الشاعر[١]على التأثير الذي به ملك قلب سامعه ، استدراجا لما يأتي بعد ،وهذا ما حرص عليه المتلمس، لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع...

بل إنك تجد ارتباطاً وثيقاً بين أجزاء القصيدة وبين هذا المطلع الذي ينبه فيه المتلمس على دفع الضيم،ويحض عليه...

علاقات الجمل ومعاقد الكلام فى القصيدة :

لعل الناظر فى القصيدة يجدها قد بنيت وتفرعت عن قوله ــ في مطلعها منبهاً على أن الإنسان مرتهن بأجله-:(إن المرء رهن مصيبة) ؛ إذ جاء قوله:(صريع لعافى الطير أو سوف يرمس) خبراً ثانياً[٢] لزيادة البيان والكشف عن حاله ، ثم عطف بالفاء في البيت الثاني :

فلا تقلبن ضمياً مخافة ميتة ∴ .....البيت

ليدل على الترتب والتتابع ؛ لما فيها معنى السبب الذي يؤكد الربط،ويجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم الشيء الواحد[٣]؛ لأن النهى فيه مرتب على ما

---

[١] يقول د/أبوموسى:"...وكأن المقدمات هي المعارض والمعاني التي تتجلى فيها قدرات الشعراء..."مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجابي ١٢٧ط الأولى ١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م ، مكتبة وهبة.

[٢] ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٥٩.

[٣] ينظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ١٣٩/٢ مط فيصل الحلبي.

ذكر -من أن الإنسان رهن أجله - ومسبب على اعتقاده، ثم عطف بالفاء فـــى قوله :

فما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا ∴ .....البيت

وهو متعلق بما بعده كما هي رواية أبى تمام ــ كمـــا ســـيأتي ــ؛ لأن قوله: (فمن طلب الأوتار) استشهاد بمن ركب الإباء من الخنوع بالعـــار ، ونفى الضيم عنه ...

وهكذا ترى وقع الأشياء والأحداث في تتابع بيِّن وترابط محكم وتلاحق يصور تسارعها في نفس المتلمس القلقة المتلهفة على درك ما فات و إنقاذ ما تبقى

ثم تتوالى الأبيات الثلاثة التالية فى معرض الاستشهاد والاستدلال عى النهى السابق(فلا تقبلن ضيما...)

ويأتي البيت الثامن :

هلم إليها قد أثيرت زروعها ∴ .....البيت

فى معرض التهديد والوعيد،أو التهكم - كما سيأتي - وهو عود إلـــى مـــا ذكره من نفى المذلة والضيم ، وعطف عليه :

وذاك أوان العرض حي ذبابه ∴ .....البيت

لأنه كالإغراء له بالقدوم إليها ، فإذا انتكس راجعاً كان ذلك أثلم له، وأدل على جبنه، ثم يأتي عطف الأبيات الأربع التالية بالواو ــ على رواية أبى تمام ــ ؛ لأنها في نسق بيان رد الضيم .

وهكذا تجد مقاطع القصيدة مبنية على ما ذكره أولاً من أن الإنسان مرتهن

بأجله، وما دام كذلك فلا يليق أن يقبل ضيماً ما...وإن كان فيه موتـــه ؛ إذ إن ذلك أدل على النقاء من العيب، وعفة الرداء ، وطهارة الجيب، ثم أخـــذ فـــي قص حال من أبى الضيم واستعصى على الهوان ، سواء كان بشـــراً ظـــاهراً حالهم عندهم، كقصير،وبيهس ،أو كان جماداً كحصن الجون ؛ ومن ثـــم فـــلا يليق بمن كان مثلهم أن يقبل ما يذله..

ولهذا تجد إحكاماً في ربط معاقد الكلام وبناء الجمل عن طريق وجوه ثلاثة :

1 ــ أنها بنيت وتفرعت على معنى واحد-هو حكمة عامة مركوزة في الطباع لا تجهل ، ومسلمة يقينية لا تنكر -تناسلت منه أفكارها ومعانيها وأبياتها ، فهي كلها في إثارة الهمم والحض على دفع الضيم ، وركوب الإباء،والقيام في وجه الأعداء ...

2ــ عن طريق التلاحم التام وشدة الارتباط بين أجزائها،وتسلسلها،وترقيها في الدلالة على مرادها،حتى انتهت بما يصل إلى غاية ما به وله بدأت .

3ــ عن طريق حروف العطف ، فتجد العطف بالفاء وبـــالواو شـــائعاً فـــي القصيدة ؛ للدلالة على التسبب أو الترتيب ، إذ هي جميعها في نسق بيان دفع الضيم...

تحليل القصيدة :

أول ما يلحظ في هذه القصيدة كثرة الاختلاف[1] في رواية أبياتها وثرائه

---

[1]وهذا الاختلاف يرجع إلى عوامل متعددة ، ليس هذا موضع استقصاء لها، منها:اختلاف الرواة - والاعتماد على الحفظ –وتنقيح الشعر وتجويده

وتعدد جوانب القول فيه ، إذ تجد في البيت الواحد ضروبا متنوعة وأفنانا مختلفة ؛ إذ تجده فى اللفظة المفردة (فى مادتها أو فى بنائها) ، كما تجده فى البيت كله سواء فى ترتيبه داخل القصيدة ،أو فى روايته على غير وجهه المروى به أولاً،وسأبين ذلك في كل بيت في موضعه ــ إن شاء الله تعالى ــ

الجزء الأول : مطلعها ، ويشمل الأبيات (١،٢،٣):

١ــ أعاذل إن المرء رهن مصيبة صريع لِعافِي[١] الطير أو سوف يُرْمَس[٢]

كثر الاختلاف فى رواية هذا البيت شأن القصيدة كلها،إذ جاء هذا البيت في رواية الديوان مبنياً على النداء:(أعاذل) كأنه أقبل عليه ليبين له موقفه من عذله ، ومن ثم آثر مناداتهم بوصف العذل "أعاذل "؛ لما فيه من معنى اللوم على أمر يراه المخاطب خطأ ، ولهذا يتبع بالرد عليه ، وبيان كذبه ، تدبر قول جابر بن ثعلبة الطائي:

وقام إلي العاذلات يلمنني ∴ يقلن ألا تنفك ترحل مرحلا

فإن الفتى ذا الحزم رام بنفسه ∴ جواشن هذا الليل كي يتمولا[٣]

وإيثار الهمزة في النداء ؛ لأنه أقبل عليهم بالجواب مبينا خطأ رأيهم ،ولم يخف عنهم غضبه وسخطه من قبولهم الضيم..والهمزة أدل على هاتيك المواجهة ،بخلاف(يا) التي توهم أنه ذكر ذلك بعد فراقهم ؛ لأن القصيدة جاءت فى سياق نزاع وخصام ومجاذبة وعذل ولوم وقع بين بنى ضبيعة ، وبنى ذهل

---

(١) العافي:هو كل طالب رزق،وعافي الطير:هو ما يعتري منه.ينظر اللسان(ع ف ي) دار صادر بيروت الأولى من دون.

(٢) يرمس : يدفن.

(٣) شرح ديوان الحماسة ١٠٨.

بن ثعلبة بن عكابة[١] ، أوبين ضبيعة وبكر بن وائل، أو بين ضبيعة وبني حنيفة.

إلا أن هذا غير مناسب لاختيار الهمزة في النداء(أعاذل) التي تدل على قرب المنادى منه حساً أو معنى، ولذلك ترى الرواية الثانية - رواية المرزوقي [٢]والتبريزي[٣] في شرحهما لديوان الحماسة - وهي: (ألم تر)على الاستفهام - أبر وألصق بسياق المجاذبة والمنازعة وأدل على الغرض المراد، لما فيها من معنى التقرير والعموم الذي ينبئ عن ثقة المتكلم بالحكم ، وأنه لا يقوله إلا والمخاطب لا يجد معه سبيلا للإنكار ، ولا يسعه إلا الإقرار به وبما يقتضيه ؛ لأنه مسلم عنده ، وهذا أشد في توبيخ من قبل الضيم وخنع بالعار، والنعي عليه ، والتعجيب من حاله[٤]؛ لأنه يذكر قضية عامة يقرها جميع العقلاء ، ولا يختص بها أحد دون أحد ، يلفت إليها ذهن المتلقي ؛ لتكون توطئة للنهي الآتي بعد في قوله:

فلا تقبلن ضيما ....البيت

وهذا أدعى لقبوله؛ لأنه مبني على مقدمة يقينية ، وهذا مسار الاستفهام التقريري عند القوم ، فإنك تجد أكثره في الأمور المسلمة المركوزة في الطباع .

و(لم) لتأكيد معنى التقرير المفاد من الهمزة[٥]،واصطفاء التعبير بفعل

---

[١] ينظر الأغاني ٢٢٠/٢٤.
[٢] شرح ديوان الحماسة٦٥٨.
[٣] شرح ديوان الحماسة١٠٢/٢.
[٤] ينظر التحرير والتنوير ٢٨٦/٢٦، وبلاغة النظم القرآني في الحديث عن البعث (دكتوراه) للكاتب مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ص ٢٧٩.
[٥] ينظر التحرير والتنوير ١٣/٣٠، بلاغة النظم القرآني في الحديث عن البعث٢٨١.

الرؤية دون فعل النظر ؛ لأنه لم يتقدم منهم إنكار صريح ، ومن ثم أرشدهم بفعل الرؤية التي هم أتم من النظر. [١]

والخطاب في (تر) لكل من يتأتى منه الرؤية ، فلا يختص به أحد دون أحد ، دلالة على اشتهار الحكم في القضية والتسليم بها ، ويأتي هذا على غير أصل الخطاب ؛ فهو لمعين حاضر كما هو مقتضاه عند البلاغيين[٢] ، إلا أنه يأتي على خلاف الأصل لتحقيق غرض يرمي إليه المتكلم .

وفعل الرؤية ــ هنا ــ في حيز الاستفهام يعين على ذلك ، ولهذا يكثر في الذكر الحكيم عند إرادة الاعتبار من الكون المشاهد لكل راء ، تدبر قوله تعالى **تعالى** :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾[إبراهيم: ١٩]

وقولـــه :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾[الحج : ٦٣]

وقوله :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[الحج : ٦٥]

وقولـــه :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾[النور: ٤٣]

،وقولـــه :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

---

[١] ينظر التفسير الكبير ١٥٥/٢٨ط دار الفكر بيروت لبنان الأولى١٤٠١هـ_١٩٨١م ، بلاغة النظم القرآني في الحديث عن البعث ٢٨٠.

[٢] المفتاح ٨٠ ، المطول ٢٤١،٢٤٢ ، شروح التلخيص ٢٩١/١

وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[لقمان: ٢٩]

وقولـه :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾[لقمان: ٣١]

وقولـه :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾[فاطر: ٢٧]تجد العموم باد من تلك النعم التي لا يختص بها واحد من دون آخر.

ثم إن عموم الخطاب هنا يتناسق ويتلاقى مع عموم الخطاب فى الأبيـات التالية ، في قوله :

فلا تقبلن ضيما ..... وموتن .....البيت

ألم تر أن الجون ....البيت

وفى الافتتاح بهذا البيت مبنياً على الاستفهام ، أو النداء براعـة اسـتهلال ؛لأن فيه لفت السامع، وإيقاظ فكره، وتنبيهه إلى الآتي بعده ؛ دلالة على أهميته ؛ لئلا يضيع من قوله شيء ...

ثم في سوق البيت الأول على حكمة عامة لا تجهل ، وقضـية مسـلمة لا تنكر دلالة على سريان ذلك الأمر في قصيدته ، فأحكامه التي تأتى بعد - سواء ما يتصل بهم أو بغيرهم -لا تنكر، وأخلاقهم المذكورة لا تجهل .

ومجيء الكلام بعد فعل الرؤية مؤكداً أمر مطرد إذا كان جملة ؛ تطـويلاً ومداً وبسطاً لأجزاء الكلام ، وتفريعاً له إلى آفاق متعددة ، وهذا سر التأكيـد هنا، وإلا فإنه أمر جلي ظاهر .

وإيثار المرء في البيت على الإنسان أو الناس ...إلخ ؛ لأن ما ذكره بعـد

من مقتضيات المروءة ، بخلاف قوله في البيت الثالث :

فما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا ∴ وما العجز إلا أن يُضاموا فيجلسوا

فإن اختيار كلمة(الناس)هنا يتلاءم مع ما ذكره ؛ إذ إنها مشتقة من النوس الذي فيه معنى الاضطراب والحركة والتغير[١] ، وهذا يلاقى المعنى المذكور في البيت ــ كما سيأتي ــ وتعريفه –المرء- بلام الجنس يتلاقى مع الاستفهام التقريري المتقدم وما فيه من عموم .

والإخبار عن المرء بقوله:(رهن مصيبة) يؤكد غرض القصيدة من الحض على المعالي والإباء والنهي عن الخنوع والتزام العار بما هو مشاهد ومسلم به عند الجميع ،عن طريق اصطفاء لفظ (رهن)بما فيه من دلالة على سرعة وقوع المصيبة وشدة ارتباطها بالإنسان، ومن ثم يتلاقى مع الاستفهام التقريري المتقدم وما فيه من توبيخ وعموم.

وروى المرزوقي وغيره (رهن منية) [٢] وهي الأوفق ؛ لتناسبها مع ما بعدها في قوله :

صريع لعافى الطير أو سوف يرمس

فإنه تفسير وتوضيح ، ذلك أن قوله :(رهن منية، وصريع) جميعاً خبران لـ(أن) ــ هذا على رواية الرفع ــ أما رواية النصب :(صريعا)على الحال ، فهي أدل على ذلك ،وأكثر ملاءمة - كما هو ظاهر-خاصة إذا حملت على أنها لازمة .

كذلك تجد توافقاً بين: (منية)هنا وبين قوله في البيت الثاني :

---

[١] ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العكسري ٣٠٨ ط دار الكتب العلمية بيروت من دون .
[٢] وروي - أيضا - (رهنٌ لهالك) ينظر : ديوانه ١١٠ .

وموتن بها حراً وجلدك أملس

ولكن يمكن أن يكون المراد بالمصيبة في البيت عين المراد بالمنية في الرواية الأولى ، ويكون هذا توافقاً بين الروايتين ، إلا أنه يبقى لرواية المرزوقي فضل ــ هنا ــ لدلالتها على التوقيت بزمن معين لا يتعداه الإنسان، وهذا هو الغرض المراد من الكلام .

وروي " صريعاً " [١] على الحال ، بيد أن رواية الرفع أقوى ، لأنها تدل على الثبات ، وأنه ذلك أمره دائماً ، بخلاف الحال ، إلا إذا حملناها على أنها لازمة -كما سبق -.

وتقديم الوجه الأول لمنيته: (صريع لعافى الطير) على قوله : (أو سوف يرمس) ليس لمراعاة قافية الأبيات فقط ، بل هناك دلالة نفسية من هذا التقديم ،وهى أن تلك الميتة هي المحببة عندهم ، والمفضلة لديهم ، إذ كانوا يفتخرون بها ؛ لما فيها من العزة والأنفة ودفع الضيم...وهذا ما يتلاقى مع سياق الأبيات وغرضها ، ألا ترى كيف كانوا يؤثرون الموت ويفضلونه على الضيم ...، انظر إلى قول السموأل :

وما مات منا سيد حتف أنفه ∴ ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا ∴ وليست على غير السيوف تسيل[٢]

وإن أردت مزيدا فانظر إلى قول خطيب بني بكر في حربها مع تغلب:

---

[١] ينظر ديوانه ١١٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٥٨.

[٢] ديوانه ص ١٣، المستظرف من كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي ٢٩٣/١تح مفيد قميحة ط در الكتب العلمية بيروت الثانية ١٤٠٦هـ١٩٨٦م ، معاهد التنصيص للشيخ عبدالرحيم العباسي ٣٨٣/١تح محمد محيي الدين عبدالحميد ط عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م.

"...هالك معذور خير من ناج فرور،المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من استدباره..[١] ".

و(أو) هنا للتقسيم أو التنويع ، حيث أراد حصر ما يعترى الإنسان عند نهاية أجله، فذكر أنه مرتهن بأجله بين أن يترك فتأكله السباع لا يقبر ، أو أن يرمس ، ولا ثالث .

وفي هذا صحة تقسيم تزيد المتلقي إقناعا ، وتضفي على الكلام تأثيرا وقبولا...وليست للإباحة أو للشك كما ذكر المرزوقي[٢] ثم أخذ في رد الثاني ، بأنه إن جعلت(أو) للشك يكون الكلام مبنياً على اليقين ، ثم يعترض فيك الشك ، والأصلح في مثل هذا أن يجعل بـ (إما) ليكون بنية الكلام على الشك ؛ إذ كان واحد من الأمرين لا يتيقن .

ووجه ذلك أن الإباحة لابد فيها من تقدم حظر صريح أو مفهوم من الكلام، كما هو مقرر عندهم ، وليس ثم حظر هنا ، وقد أبان المرزوقي عن وجه دفع الشك .

وترى المتلمس هنا قد خالف في نسق بناء الجملتين، فجاء بالجملة الأولى مبنية على الاسم (صريع لعافى الطير)،وجاء بالثانية في ثوب الفعل (يرمس)، وما ذاك إلا لأن الحالة الأولى هي الثابتة عندهم المحببة لديهم، وهذا هو الملائم لمثل مجتمعاتهم.

وجعل العافي من الطير دون السباع وغيرها من آكلة اللحوم ؛ لأنها التي تتبع الجيش في المعركة لتنال من القتلى .

---

[١] الأمالي في لغة العرب لأبي علي القالي ١٧١/١ط دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، جمهرة خطب العرب أحمد زكي صفوت ٣٧/١ المكتبة العلمية بيروت من دون.

[٢] شرح ديوان الحماسة / ٦٥٨.

٢ــ فلا تَقْبَلَنْ ضيما مخافة مِيتَة ∴ ومُوْتَنْ بها حُرًّا وجِلْدُك أمْلَسُ

روى البيت من دون العطف: (لا)، ورواية الديوان أوفق ؛ لأن فيها معنى السببية والترتيب ،أي:أن الثاني مرتب على الأول عند العلم والتيقن به ، ومسبب عنه .

فضلا عما فيها من دلالة على الربط بين أجزاء الكلام واتصاله، وعقد ثانيه بأوله ، كما أن العطف بالفاء يتلاقى مع شيوع ذلك في أوائل الأبيات في القصيدة،انظر :

فما الناس إلا ما رأوا .....البيت

فمن طلب الأوتار .....البيت

فإن يقبلوا بالود .....البيت

فإن يك عنا في حبيب .....البيت

وهذا يقوى رواية الديوان .

كذلك روى البحتري فى الحماسة[1]:(تأخذن ضيما) وهذا مخالف لرواية الديوان: (فلا تقبلن ضيما) ورجحها بعض الباحثين[2] بأنها الأبلغ والأدل على الضيم دون أن يقبله، بخلاف رواية البحتري ، فإن النهى فيها عن أخذ الضيم سواء أكان بالقهر أم بالقبول، وهذا هو مراد المتلمس .

فضلا عن كونها -رواية الديوان :(فلا تقبلن...)- أوفق بالمعنى ،وأبر بالسياق، أما كونها أوفق بالمعنى ؛ فلأن الغرض المراد هو نفى الرضا

---

(١) ص٣٥.

(٢) اختلاف الرواية وأثره فى التوجيه البلاغي د/ محمد أحمد محمد -مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد التاسع ص ٨١٩ .

بالضيم والاطمئنان القلبي إليه والخنوع له والتسليم به ومعايشته ، بخلاف اتخاذه غرضاً لتحقيق هدف أسمى وأعلى .

أما كونها أبر بالسياق فواضح في أن استشهاد المتلمس بقصير و بيهس وهما اللذان احتالاً لبلوغ ما أرادا، وحققا غرضهما بعد احتمال نوع من الضيم = فيه دليل على أنه قد أراد نفى قبول الضيم لا أخذه .

ثم إن في نفي القبول مبالغة في النفي؛ لأنه أول درجات الأخذ ، وأدل عليه ؛ لأنه إذا انتفى القبول انتفى الأخذ بطريق الأولى، بخلاف العكس .

وتأكيد النهى ــ هنا ــ فلا تقبلن ضيماً) ثم إردافه بالأمر(وموتن) دلالة على العناية والاهتمام بذلك المعنى المنهي عنه ؛ لأنه أصل رئيس بنى عليه الكلام اللاحق ، وهذا هو الوجه الأول للعناية ...

كما أن ذلك الكلام يمثل عقيدة المتلمس التي نازع بها عمرا بن هند، وقاوله ولم يصبر على ضيم عنده، فارتحل إلى الشام ،وقال لناقته:[1]

لا تسلكي سبل البوباة منجدة ∴ ماعاش عمرو وما عمرت قابوس

فهو منفعل بهذا المعنى ، وهذا من دواعي التاكيد.

والتنكير فى قوله: (ضيما) لإفادة التقليل، أي نفى قبول الضيم أيا كان صغيراً أو قليلاً ...فإن ذلك يستوي فيه القليل والكثير،بل قد يكون القليل مدعاة إلى الكثير،واستهواء له .

وهذا خلاف التنكير في: " ميتة "فإنها للتعظيم والتهويل أو النوعية، ولا تعارض ؛ لأن المراد عدم المهابة من جميع المنيات بكل أنواعها... فهو لا

---

[1] ديوانه ٩٣.

يبالى في سبيل النقاء من المعايب على أي وجه يأتيه الموت .

وإتباع النهى بالأمر في(و موتن بها حراً) لتأكيد النهى السابق ، والنص على المبالغة فيه،فهو ترق له.

والأمر هنا وإن كان تأكيدا لما سبقه من النهى إلا أنه قد جاء به معطوفاً ليفيد معنى التغاير، وليؤسس عليه كلاماً جديداً ووصفاً مستعلياً : (حراً وجلدك أملس) .

وروى (واحين بها حراً وجلدك أملس)[1] أمراً بالحياة ، واستحسن المرزوقي الرواية الأولى (وموتن) ، ولم يبين وجه ذلك ، ولعله -والله أعلم - لأن الكلام في الموت لدفع غائلة المذلة والعار، وهذا ظاهر في البيت الأول:

ألم تر أن المرء رهن منية ∴ صريع لعافى الطير أو سوف يرمس

فذكر نوعين للمنية ، يلائمه ذلك الكلام عن الموت في حال النقاء من العيب ...

ثم إن ذلك لا يستقيم مع رجوع الضمير في(بها) حيث ترجع إلى المخافة فلا يتصور أن يكون المتلمس قد أراد واحين بتلك المخافة حراً، إذ كيف يحيا حراً كريماً وهو خائف وجل من الموت .

هذا لا يتأتى لوضوح فساده، بخلاف الرواية الأولى فالكلام عليها ظاهر؛ إذ المقصد الأمر باقتحام الموت في سبيل النقاء من العيب وعدم قبول الضيم...

كما روي:(وموتن بها واحين وجلدك أملس) من الحياة،على أنه أمر بالحياة،أومن الحَين،وهو الأجل،وكلاهما تأكيد للنهي - في صدر البيت- عن

---

[1] ينظر: هامش الديوان ١١١.

قبول الضيم ،إلا أن رواية الديوان (وموتن بها حرا) أقوى وأنسب ؛ لما فيها من الدلالة على ملازمة رد الضيم وإباء الذل له حتى بعد موته ، وكأن ذلك شيء لا ينفك عنه ،عن طريق جعل (حرا) ، و(وجلدك أملس) حالين له وقت موته ، وهذا ما يتلاقى مع غرض القصيدة الرئيس ومقصدها العام - الحث على رد الضيم - إذ هو لا يكون إلا من الأحرار الأطهار...

فضلا عن أن معنى الأمر بالحياة-الذي هو مفاد (واحين)مفهوم من قوله (وموتن)؛إذ هو أمر بلزوم الحرية وتأبي الضيم ، والطهارة من العيب حتى الموت ،وهذا يشمل وقت الحياة ؛ إذ لا يكون للوصف بالحرية والنقاء من العيب معنى حال موت الرجل إلا إذا كان منسحبا على حياته قبله ، بل هو إبلاغ في هذا المعنى حال الحياة،وهذا ما يقصده البلغاء ، وما أراده المتلمس.

أما رواية (وموتن ..واحين)بكسر الياء من الحَيْن بمعنى: الأجل[1]، أي :وموتن بها أجلا،فهو غير مستقيم ولا مقبول ؛ لوضوح فساده .

والخطاب في البيت لغير معين، فكل من يتأتى منه قبول النصح والإرشاد صالح لأن يكون مخاطباً ؛ ذلك لأن الكلام متصل بسابقه اتصال المسبب بالمسبب ، وقد ذكرت في البيت السابق أن الخطاب في: (ألم تر) عام لكل من تقع منه الرؤية ، وكذلك الأمر هنا .

وقوله:(وجلدك أملس) كناية عن النقاء من العيوب والمثالب ؛ لأن باطن الإنسان يطفح على ظاهره ، وكل إناء بما فيه ينضح ، وذلك أدل على نقائه وطهارته ؛ لأنه إذا كان جلده نقيا فهو أولى أن يتصف بذلك، فالكناية هنا أفادت المبالغة في كمال الوصف،ألا ترى أن فيها دلالة على أن النقاء لكماله

---

[1] ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٠٢/٢ ط عالم الكتب بيروت من دون.

فيه قد تعداه إلى ما يجاوره ويلابسه،وهذا شائع ومستفيض في النظم العالي .

ومنه قوله ــ تعالى ــ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[المدثر: ٤]، وعليه تجد النظم في قول الربيع بن زياد العبسي :

يضربن حر وجوههن على فتى ∴ عف الشمائل طيب الأخبار[١]

فقد بالغ في وصفه بالعفة ، حتى سرت إلى شمائله ..وقولهم في البعيد عن العيوب : هو عفيف المئزر، طاهر الثياب...

وفضل مثل هذا النظم على غيره أنه كدعوى الشيء ببينة ، وهذا أكثر تأكيدا من دعواه عاريا عنها، ألا ترى أن دلالة النظم على المعنى في المواضع السابقة قد أحيلت على الرؤية والمشاهدة ، وكأنه قال : هو نقي من المثالب ، لا يلصق به ذم ، والدليل على ذلك ما تراه من جلده ، ومن ثم فهذه الجملة الحالية : (وجلدك أملس) تأكيد للمعنى السابق وتقرير له..

وقد أولع المتلمس بهذه الكناية وذكرها في موضع آخر لإرادة المعنى نفسه[٢] ، هو قوله :

وتركت حي بني ضبيعة خشية ∴ أن يوتروا بدمي وجلدي أملس[٣]

٣ــ فما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا ∴ وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا

هناك اختلاف فى رواية البيت من وجوه ثلاثة :

أولاً :الاختلاف في حروف العطف في البيت ؛ حيث روى (وما الناس) بالعطف بالواو، و(أو تحدثوا)بالعطف بـ (أو) بدلاً من الواو .

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٩٦٦.
(٢) ينظر هامش ديوانه١١١.
(٣) ديوانه ١٩١.

ثانياً : في ترتيب البيت وموقعه من القصيدة ، حيث روى خامسا، أي :عقب قوله :

نعامة لما صرع القوم رهطه ∴ تبين في أثوابه كيف يلبس

ثالثاً: في البناء التركيبي للبيت ، حيث روى بوجه آخر :

وما البأس إلا حمل نفس على السرى ∴ وما العجز إلا نومة وتشمس

وهذه الرواية أحسن من رواية الديوان .

أما الوجه الأول فالعطف بالفاء أبلغ وأحسن ؛ لما في الفاء من معنى الترتيب والسببية ، والمعنى مرتب على سابقه ، ومسبب عنه .

كما أنه يتلاقى مع شيوع العطف بالفاء في القصيدة - كما تقدم - فهناك وشيجة قوية بين أجزاء القصيدة في اختيار حرف العطف ، ألا ترى قوله قبل في البيت السابق :

فلا تقبلن ضيما .....البيت

وقوله بعد ذلك :

فإن يقبلوا بالود ...البيت

وقوله بعد ذلك :

فإن يك عنا .....البيت

فانتظام العطف بالفاء في أوائل الأبيات ظاهر ؛ لذا كان العطف بالفاء هنا أكثر اتساقاً مع بناء القصيدة.

أما رواية (وتحدثوا) ــ بالواو ــ فإنها تفيد معنى التشريك والاجتماع ،

فجمع لهم بين الرؤية والتحدث أي: فما الناس إلا من يعتبر بالرؤية ويسير بها ، و بما يروى من أخبار الأمم البائدة[1]، وفي هذا دلالة على كمال الاعتبار الذي يتناسب واستنهاض هممهم وحضها على رد الضيم ، ولهذا أخذ يذكرهم بما هو مرئي ومروي ، بخلاف: (أو) فإنها تفيد التنويع الدال على أنهم إنما يعتبرون بواحد منهما .

أما الوجه الثاني: وهو ترتيب البيت فإن صياغة البيت على الحكمة العامة تجعله صالحاً لوضعه في الموضعين كليهما ؛ إذ هو يقرر ويؤكد المعاني المتقدمة - النفور من الضيم وعدم قبول المذلة والهوان - بتلك الحكمة العالية .

والوجه الأكثر اصطفاء ، والأقرب إلى سياق الكلام رواية المرزوقي ،التي تصل البيت بقوله :

نعامة لما صرع القوم رهطه .....البيت

ذلك لأن قوله :

فمن طلب الأول ما خر أنفه .....البيت

تعليل واضح لما تقدم من نهيه عن قبول الضيم ، ولذا أخذ يذكر بمن رفض قبول الذل ، واحتال لنفسه حتى أدرك بغيته ومناه .

وبهذا تجد اتصالاً واضحاً بينهما ، كما أن بين البيت وقوله : (نعامة...) اتصالاً بوجه ما ؛ إذ هو كالدليل عليه ، وهذا ما تفتقده في روايته ثالثا ، بعد: (فلا تقبلن ضيما....).

---

[1] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي٢٦٠.

أما الوجه الثالث وهو رواية البيت :

وما الناس إلا حمل نفس على السرى ∴ وما العجز إلا نومة وتشمس

فقد ذكرت أنه الأقرب إلى السياق ؛ وهذا بين ؛ إذ ترى فى قوله: (حمل نفس على السرى)توافقاً مع قوله - ثم فى بيان حمل النفس على ما تكره فيما اقتصه من حال قصير، بيهس : -

فمن طلب الأوتار ما حز أنفه ∴ قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

فهذا تكميل لذاك؛ إذ فيه حمل النفس على ما تكرهه حتى تنال بغيتها ومناها ، وقد كان من عاداتهم قديما حمل أنفسهم على ما تكره في سبيل بلوغ الثناء والحمد ، كما قال أبو فراس:

تهون علينا في المعالي نفوسنا ∴ ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

هذا وجه ، كما أن قوله :

وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا ...

فيه مجافاة من نوع ما بالغرض الرئيس من القصيدة وهو حمل النفس على ما تكرهه وعدم قبول الضيم والهوان - وإن تأوله المرزوقي - وأقرب منه وأنسب بسياق رد الضيم أن يكون نظمه :

وما البأس إلا حمل نفس على السرى وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا

تنبيها على أن السكوت على الضيم سمة العجزة ، فضلا عما فيه من تناغم عن طريق جعل البأس بإزاء العجز، والسرى بإزاء الجلوس[1].

---

[1] شرح ديوان الحماسةللتبريزي٢/١٠٣.

وعلى الروايتين جاء نظم البيت مبنياً على القصر بالنفي والاستثناء وهو يكون ــ كما ذكر الإمام ــ[1] فى الأمر ينكره المخاطب أو ما ينزل منزلته ، مع أن المعنى الذي قصده الشاعر من الوضوح عند المتلقي والتسليم به ما لا يخفى على متأمل ، إذ هو حكمة عامة يتلقاها الناس ــ لا سيما العرب فى ذلك الوقت ــ بالتسليم والقبول ، حتى إنهم كانوا يبذلون أنفسهم في سبيل نفى الضيم عنهم ، ويتحملون المشاق في الوصول إلى أغراضهم ، فما وجه القصر بالنفي والاستثناء هنا فى الموضعين ؟

لعل ذلك متعلق إما بالخبر نفسه ، أو على سبيل التنزيل .

ووجه اتصاله بالخبر نفسه ؛ أن ذلك الخبر مهم وعظيم الشأن جليله ،إذ الغرض منه الإخبار عن حقيقة الناس وأمرهم ، وبيان العجز وكيفيته وأثره ، فهو مصدر الذل...، ومن ثم لا يقيم عليه إلا العير - وهو الحمار ؛ لأنه بليد الإحساس غليظ الطبع - والوتد ، وهذا ما أفصح عنه قوله :

ولا يقيم على ضيم يراد به ∴ إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ∴ وذا يشج فلا يرثى له أحد

ووجه الأهمية فى الرواية الثانية ظاهر ؛ لأن الإخبار عن البأس وبيانه عندهم مما يُعنى به أمثالهم ، وتتوق لمعرفته نفوسهم .

أما وجه التنزيل فبين باعتبار أن المقام هنا فى المنازعة التي كانت بين بني ضبيعة - رهط الشاعر- وغيرهم ، فالنفي والاستثناء - وهو أصرح طرق القصر دلالة على المعنى المراد ؛ لما فيه من التصريح بأداة كل من النفي والاستثناء - فيه حث وحض ، وكأنه في مقام تحد لهم ومصاولة لحجتهم ،

---

[1] ينظر الدلائل ٣٣٢ تح الشيخ شاكرط المدني بجدة.

وكأنهم قد أنكروا تلك الحقيقة ، فمدلول هذا الطريق هنا التوكيد المحض الذي يتلاقى مع سياق الاحتشاد والإبلاغ فى حضهم على رد الضيم فى قالب موثق متين لتستقر فى النفوس وترسخ فى الأذهان[١].

والبيت على كليهما يحملُ دفقة شعورية غلابة جعلت الشاعر يقصر في البيت الأول البأس على صفة خاصة هي حمل النفس على السّرى ، وفي الشطر الثاني يقصر العجز على صفة النوم والتشمس ادعاء ومبالغة، ونزولا على حكم الهوى الشعوري ، و إلا فإن للبأس مواقف أخرى غير حمل النفس على السّرى والانقضاض على العدو أو الثبات في موقف الدفاع ، كما أن للعجز مظاهر أخرى غير النومة والتشمس ، كالسكوت عن الحق في موقف الخصومة ، وعدم التكيف مع المتغيرات...إلا أن الشاعر اعتبر ذلك كله في حيز العدم ادعاء ومبالغة .

ولهذا تجد توافقاً في بناء شطري البيت ؛ إذ بنيا على النفي والاستثناء فأفرغا على قالب واحد من الانفعال النفسي المتغلغل في قلب الشاعر وعقله .

وترى توفيقاً عجيباً فى إيثار لفظ الناس هنا ، بعد المرء فى البيت الأول هناك ؛ ذلك لما فيها من معنى الاضطراب ، وعدم القرار على شيء، والحركة[٢]،فهي ملائمة للمعنى المراد فى البيت ؛ لأنه أراد ميلهم مع الرؤية ، والاعتداد بالمشاهدة والسماع ، فإذا تغيرا تغير ما يثبت عندهم ، وهذا فيه نزوع وعدم قرار.

وفى بناء الفعل (يضاموا) للمجهول توفر على إبراز الضيم ، مبالغة فى التنفير منه ، فليس القصد إلى فاعل معين فيذكره ، ولكن الغرض إثبات وقوع

---

(١) ينظر بلاغة النظم القرآني في الحديث عن البعث (دكتوراه) للكاتب ص ١٩.
(٢) ينظر الفروق اللغوية ٣٠٦ وما بعدها .

الضيم عليهم من أي أحد...

وفي هذا إشارة إلى تمكن الضعف منهم ، وبلوغ الذل بهم غايته ومنتهاه ؛ إذ صاروا من المذلة بحيث يقع عليهم الضيم من أي أحد، ولا يختص بذلك أحد دون أحد ، بل صار ذلك عاماً من الناس كلهم ، وهذا نهاية الضعف وغاية المذلة...وصيغة المضارع لاستحضار تلك الصورة المشينة زيادة في التنفير والاستنكار...

ويجوز أن يكون البيت مبيناً على حذف المضاف ، فيكون التقدير: وما حزم الناس، ويكون حينئذ (ما رأوا) فى موضع الظرف ، كأنه أراد : ما حزمهم إلا مدة رؤيتهم وتحدثهم، أي : إذا عتبروا بالأمرين ، ويكون هذا فى باب الإخبار كقولهم : الهلال الليلة ، على تقدير: حدوث الهلال الليلة ، ويكون الدلالة على هذا الوجه أنه طابقه بقوله : (وما العجز) [١].

بيد أن الوجه الأول أقوى وأدل على الغرض المراد ؛ إذ الإخبار بالمصدر(ما رأوا وتحدثوا) عن (الناس) فيه دلالة على أنهم من كثرة وقوع ذلك منهم و ولوعهم به ، كأنهم قد تجسموا من الرؤية والتحدث ، فكأنه يقول :ما الناس إلا ذوو الاعتبار بما يشاهدونه أو يسمعونه من أخبار أسلافهم ، فيتيقنون أنه لا بد من الفناء ، فلا يحتملون ضيما أو يصبرون على مكروه ، وما العجز إلا أن يظلموا ويساموا الخسف ، فيرضوا به ، وينطووا عليه كاظمين ساكنين ... [٢] وفي هذا دلالة على الاعتبار بالمشاهدة والسماع من أخبار الأسلاف .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي٦٦٠.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي٦٦٠، والتبريزي١٠٣/٢.

وهذا يتناغى مع سياق القصيدة ؛ لأن المتلمس قد استشهد على رد الضيم ، وعدم قبوله بما فعله (بيهس، وقصير) ، ثم بما كان من(الجون)وهو حصن باليمامة استعصى على تبع ، وهذا اعتبار بالمشاهدة والسماع .

وجعل القافية (فيجلسوا) بالعطف بالفاء وإيثار المادة (جلس) لمراعاة معاني متعددة ، فالعطف بالفاء فيه معنى المسارعة والتعقيب،أي لم يفكروا مرة أو مدة فى رد الضيم، أو يترددوا في قبوله.

وهذا أدل على استمرار الضيم ولزوم المذلة ، وآكد في إثبات أنهم قد فقدوا القدرة على رد الضيم ، تلاقيا مع دلالة العجز فى قوله:(وما العجز) ، إذ هو مضاد للقدرة [١]، فضلا عما فيه من معنى التوبيخ والتحقير؛ إذ هو مؤخرة الشيء...

وإيثار (الجلوس) على القعود مثلاً - فضلاً عما فيه من ملاءمة القافية ومراعاتها ؛ إذ هي مبنية على السين المضمومة - فيه معنى السكون على الضيم على أي حالة كانت ، ولو في أخزى أنواعه ؛ إذ الجلوس أصله من الجلس ، وأصله : الغليظ من الأرض وسمي النجد جلساً لذلك ، ومنه الجلوس وهو: أن يقصد بمقعده جلسا من الأرض[٢] ، ومن ثم ترى فيه معنى القعود على كل شاق ومعنّت...

الجزء الثاني: حال من احتال لإدراك ثأره ، ولم يقم على الضيم الأبيات(٤،٥،٦،٧) :

٤ــ فمن طلب الأوتار ما حز أنفه ∴ قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

---

[١] ينظر الفروق اللغوية ١٢٨.
[٢] ينظر المفردات للراغب الأصفهاني ٩٦ط إيران .

٥ ــ نعامة لما صرع القوم رهطه ∴ تبـــين فى أثوابـــه كيـــف يلبـــس

هناك اختلاف في رواية البيتين من وجهين :

أولهما : ترتيبهما وموقعهما من القصيدة، إذ جاءا في حماسة أبي تمـــام عقب قوله :

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة ∴ .....البيت

ثانيهما : في البناء التركيبي،حيث روي أولهما بأوجه أخرى فـــي شـــطره الأول،هي (وفي طلب الأوتار...) ، (ومن حذر الأوتار...) ، (ومـــن حـــذر الأيام...)[١].

وكذلك في شطره الثاني، إذ روي:(وخاض الموت...) ،(ولاقى الموت...)، (ورام الموت...)[٢].

أما الوجه الأول وهو ترتيب البيتين ، فإن رواية الديوان أقوى وأنســـب ؛ لأن تعلق هذين البيتين بقوله:

فما الناس إلا ما رأوا ما وتحدثوا .....البيت

أوفق وأظهر من تعلقهما بقوله : (فلا تقبلن ضيما...) كما هو عند أبى تمام ؛ ذلك لأن العطف بالفاء(فمن طلب الأوتار)يدل على أن الثاني مرتـــب علـــى الأول ومسبب عنه ؛ إذ قد قرر فى البيت الثاني أن الناس تعتبـــر بالمشـــاهدة والسماع ، ثم ذكر أن حقيقة العجز فى الجلوس على الضيم ، ومن ثـــم جـــاء قوله: (فمن طلب الأوتار...) مترتباً على ذلك ؛ لأنهما قد ردا الضيم .

---

(١) هامش الديوان ١١٣.
(٢) السابق والصفحة.

ثم إن موقع هذين البيتين من قوله : (فما الناس إلا مـا رأوا) هـو موقـع الدليل على رد الضيم والاستشهاد بمن دفعه عن نفسه ، وهؤلاء ناس كمـا أن قومه ناس كذلك .

ثمة أمر آخر وهو أن الغرض العام من الأبيـات هـو الحـث والبعـث والتحضيض على دفع الضيم وركوب الإباء من التزام العار[١]،و قوله:(ومـا العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا) يؤكد ذلك عن طريـق التـذكير بحـال مـن استضعف فلم يزل يحتال حتى أدرك مباغيه من أعدائه[٢]، وذلك أعلق وأمس رحما بهذين البيتين

فهذه المعاني الثلاثة إذا قورنت بما تدل عليه رواية أبى تمام ظهـر جليـا ضعفها؛ ذلك أن رواية أبى تمام تجعل فاصلاً بين مواضع الاستشهاد بمن دفع الضيم وأبى الجلوس على الظلم ، أعنى الاستشهاد بقصير وبيهس فى هـذين البيتين ، ثم بحصن الجون الذي عصى تبعاً فى البيتين السادس والسابع ، وهذا الفاصل فيه تعطيل لتدفق المعاني الدالة على غرضه .

وهذه الأخبار المذكورة فى هذين البيتين ليس الغرض الرئيس منها البعـث والإثارة والتهييج - وإن أتى ذلك تبعا - ؛لأن المخاطبين يعرفون أمر هـذين، ولكنه أراد أن يبين لهم مثلا من الذين أدركوا ثأرهم ، ولم يقيموا على المذلـة والضيم ...

أما الوجه الثاني ، وهو الاختلاف في البناء التركيبي ، فإن روايـة (ففـي طلب الأوتار) أقوى من رواية (فمِن...) ؛ لأن (مِن)فى قوله : (فمِن طلـب

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٦٥٩.
(٢) شرح ديوان الحماسة ٦٥٩.

الأوتار) بيانية ، لبيان الجنس الذي من أجله فعل ذلك من حز أنفه ، وخاض غمرات الموت... ليدلك أن ذلك أمر جليل ، يجب دركه والتوصل إليه بما يشق .

أما(في) فهي ظرفية ، ومن ثم فإنها أقوى في الدلالة على جدهما - قصير وبيهس - في إدراك ثأرهما والتوصل إليه بأي وسيلة ؛ إذ جعلوه ظرفا لما فعلوا في سبيل دركه والتوصل إليه .

وتقديم الجار والمجرور(من طلب الأوتار)على الفعل (حز) - فأصل الكلام : حز أنفه قصير من طلب الأوتار - لمراعاة السياق والغرض المراد من الكلام .

ذلك أن سياق الكلام في إدراك الثأر وعدم السكوت على الضيم، فقدم ما يدل على ذلك ، ثم إن الغرض المراد من الكلام هو الدلالة على أهمية ذلك عندهم ولو كان فيه موتهم ...

ولهذا قدم المتعلق ليدل على معنى الحصر والاختصاص ،أي : فعل ما فعل لطلب ثأره فقط ، وليس لشيء آخر ، ولو أتى به مؤخراً فقال :حز أنفه قصير من طلب الأوتار ،لكان كلاماً مغسولاً ونظما متكلفاً سمجا .

كما روي (...حذر الأوتار) ورواية (...طلب الأوتار) أقوى وأنسب ؛لأن الموتور يطلب الأوتار و يأتيها؛ ليتمكن من دركها ، لا يخافها ويحذرها ، فضلا عما في الطلب من الدلالة على معنى السعي فى الأمر والجد فيه بكل وسائله قولاً كان أو فعلاً... [1] .

---

[1] ينظر الفروق اللغوية ٣٢٣.

كما روي : (فمن حذر الأيام...) بدل (الأوتار)[١] وهو ما يناكد واقع قصتي (قصير، وبيهس)المشهورتين اللتين استشهد بهما المتلمس؛ إذ من يحذر الأيام لا يفعل ما فعلاه.

والأوتار واحدها الوتر بمعنى الإصابة بالمكروه ، وكان يمكن أن يأتي به مفردا ، ولكنه جاء به جمعاً ليدل على تتابع الرغبة فى الثأر، وتعدد ضروب الافتراءات عليه ، وهذا أدعى للتوصل إلى هدفه لتعدد مصابه .

والتعريف بالعملية فى الموضعين ــ هنا ــ (قصير وبيهس) لأنه أراد العظة منهما ، والعبرة فيهما ؛ لاشتهار قصتيهما فى بنى قومه ، ومعرفتهم بأخبارهما ، فكانت القدوة فيهما أظهر .

وذكر المتلمس قصتيهما ــ بإيجاز ــ ليدل على كيفية التوصل إلى إدراك المقصود بالحيلة والتصبر فى التمكن من الأعداء .

فقصير صاحب جذيمة الأبرص ، حيث توصل بأن جدع أنف نفسه إلى أن استخدمته زباء ، ثم استخلصته حتى تمكن، فأدرك ثأره منها.

وبيهس هو الذي يلقب نعامة وهو رجل من بنى غراب بن فزارة وكان يحمق فقتل له سبعة إخوة، فجعل يلبس القميص مكان السراويل والسراويل مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

ألبس لكل حالة لبوسها ∴ إما نعيمها وإما بوسها

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب دماء إخوته[٢]، وهذا على عادتهم إذا قتل لهم قتيل، أو ضربهم أمر عظيم يحتاجون فيه إلى مناهضة

---

(١) هامش الديوان ١١٣.

(٢) ينظرشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٥٩، والتبريزي ١٠٢/٢.

ومزاولة ، فربما حرموا على أنفسهم تنظيف البدن والأخذ من الشعر وما شاكله ، كما فى قول الشاعر:

فيا ليل إن الغسل ما دمت أيما ∴ على حرام لا يمسني الغسل[١]

وربما حرموا على أنفسهم الخمر وما يجرى مجراها فى ولوع النفس بها والميل إليها حتى يدركوا ثأرهم ، تدبر قول تأبط شراً :[٢]

حلت الخمر وكانت حراما ∴ وبلأي ما ألمت تحل

وقول امرئ القيس[٣] :

حلت لي الخمر وكنت امرأ ∴ عن شربها فى شغل شاغل

والقصد فى ذلك كله حبس النفس عن المطلوب، وتذكيرها بالمفقود؛ لئلا تتناساه أو تتشاغل عنه [٤]، فهل لنا مثل عاداتهم حتى نأخذ بثأرنا ونقوم أنفسنا...أم أنهم رجال ونحن...؟ ، فانظر كيف اقتص ما اقتص لينبه إلى إمكان إدراك الثأر وبلوغ الغاية .

وتقديم المفعول فى الموضعين حيث قدم أنفه فى قوله:(ما حز أنفه قصير) كذلك قدم(الموت) فى قوله:(وخاض الموت بالسيف بيهس)؛لأن المفعول هنا هو موضع العناية والاهتمام ، وبيان ذلك أن الأنف عزيز على الإنسان؛ إذ هو موضع حسنه وكرامته...والموت مكروه لديه ،لا يطلب إلا لأمر جلل وخطب عظيم ، ولذلك تجد الموت فى الذكر الحكيم قد اطرد فيه التأخير دائماً ، تدبر

---

(١) لم أعثر على قائله وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي بلا نسبة ص ٦٥٩

(٢) البيت في ديوانه إعداد وتقديم طلال حرب دار إحياء للطباعة والنشر بيروت لبنان ط الأولى ١٩٩٦م صـ ٦٥.

(٣) ديوانه٢٥٨.

(٤) ينظر شرح ديوان الحماسة٦٥٩،٨٣٨،٨٣٩.

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[البقرة: ١٢٣]

وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[البقرة: ١٨٠]

، وقولـــــه: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾[النساء: ١٨]

وقوله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾[النساء: ٧٨]

وقولـــه: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[الأنعام: ٦١]

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾[المؤمنون: ٩٩]

، وقولـــه: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[المنافقون: ١٠]

[١] وما ذاك إلا لكراهية الإنسان الموت وعدم محبته قدومه،فالإنسان يرغب ويتمنى ألا يأتيه الموت أبداً ، وإذا كان لابد من قدومه فليتأخر[٢] ، فإذا كان ذلك ثمناً لطلب الأوتار، وروم الانتصار كان ذلك مهماً عنده؛ لذلك قدمه .

---

[١] ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي (موت) .
[٢] ينظر لطائف قرآنية د صلاح الخالدي١١٣-١١٥.

ولا يتأتى القول بالتقديم لمراعاة القوافي فى الموضع الثاني حتى تتأتى لـــه قافيته ؛ لأنها مبنية على السين المضمومة،فلو قال وخـــاض بـــيهس المـــوت بالسيف لاختلت القافية ؛ ذلك لعدم تأتيها فى الموضع الأول ، ولأن مراعـــاة القافية أمر لفظي لا يجري وراءه البليغ .

والمتلمس هنا يسلك باب التوكيد للكلام وإن كان الخبـــر ممـــا لا ينكـــره المخاطب أو يشك فيه،حيث أكد بـــ (ما)الزائدة فى قوله:(ما حز أنفه قصير) وما ذاك إلا لأن الخبر ذو فائدة عظيمة ، فهو مهم فى نفسه ، وتأكيد الإخبـــار المهمة ذات الخطر والشأن، شأن البلغاء وأرباب الكلام .

أما الشطر الثاني فقد وردت فيه ثلاث روايات ،رواية الـــديوان(وخـــاض الموت...)، وهي أدقها وأقواها في رد الضيم ، وأنسبها فـــي التعبيـــر عمـــن استشهد بهم للاقتداء والتأسي ؛ لما فيها من دلالة على عدم تهيبه من اقتحـــام الشدائد ، بل طلبها ، والسعي إليها ، والتبجح بها فـــي ســـبيل درك مباغيـــه، بخلاف (رام الموت...) فإن إرادة الموت لا يعلل بها طلب الثأر؛ إذ لا يستقيم ، بل لا يقال : أراد الموت لطلب ثأره ، وإنما يقال : خاضه، ولم يعبأ به .

أما (لاقى) فإنها تناكد واقع القصتين ؛ لدلالتها على أنهما أدركهما المـــوت قبل إدراك ثأرهما ، وهو ما يخالف ما وردتا به [1] .

والاستعارة في (وخاض الموت بالسيف) تحتمل وجهين ، ولكـــل دلالتـــه الخاصة به :

فهي تحتمل أن تكون فى الفعل (خاض) بتشبيه دخولـــه معتـــرك الحمـــى

---

[1] إذ ثبت أنهما أدركا مباغيهما من أعداءهما ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٥٩، والتبريزي ١٠٢/٢.

وتشميره ؛ لإدراك ثأره، بالخوض فى الماء ، وفى هذا دلالة على عدم تهيبه من اقتحام الشدائد وتحدي الغمرات...

وتحتمل أن تكون الاستعارة فى (الموت) على تشبيهه بالماء على طريق الاستعارة المكنية ، وفى هذا دلالة على استهتاره به ، وتبجحه فى الوصول إليه ، فهو لم ينتظره قاعدا ، وإنما أتى إليه خائضا ...

والتقييد بالجار والمجرور (بالسيف) فيه دلالة على التبجح بالقتل ؛ لأنهم يعدون الموت بالسيف أشرف الموت وأكرمه ، ألا ترى أن بنى أسد يسمون (عبيد العصا) لما كان حجر أبو امرئ القيس حين أوقع بهم قتلهم بها ، لتكون قتلتهم ، وقد قتل كثير منهم بالجلاميد والصخور، ولذلك قال بعضهم :

جلاميد أملاء الأكف كأنها ∴ رؤوس رجال حلقت في المواسم

وقال آخر:

ولا نقاتل بالعصـ ∴ ـي ولا نرامى بالحجارة

إلا غلالة أوبدا ∴ هة سابح نهد الجزارة[1]

ولذلك رأيت كيف افتخر السموأل بسيلان نفوسهم على حد الظبات فى قوله :

تسيل على حد الظبات نفوسنا ∴ وليست على غير السيوف تسيل[2]

وكيف افتخر دريد بن الصمة بذلك في قوله :

---

[1] ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١١٧، ١١٨ .
[2] البيت في ديوانه ١٣.

فإنا للحم السيف غير نكيرة ∴ ونلحمه حينا وليس بذي نكر[١]

٥ــ نعامة لما صرع القوم رهطه ∴ تبين فى أثوابه كنف يلبس

هذا البيت تفسير وبيان لقوله:(وخاض الموت بالسيف بيهس) ، والكلام إذا بنى على البيان بعد الإبهام والتفسير بعد الإجمال يكون موقعه من القلب أحلى ، واستقبال النفس له أحسن ؛ لأن النفس تستشرف إلى معرفة ما خفي، وتتطلع إليه، فإذا جاء مبينا، فقد وقع موقعه من النفس فتمكن منها فضل تمكن ، وهذا إذا أردت استقصاءه فى كلامهم ، وجدته فى المواقع العظيمة الشأن ، ذات الخطر التي لها فضل تعلق بمواقع الكلام .

وقوله:(نعامة) بدل من قوله : (بيهس) [٢]، وقد ذهب النحاة إلى أن البدل هو المقصود بالحكم ، والمبدل منه فى نية الطرح ، ولكن يبقى سؤال وهو أنه إذا كان المبدل منه غير مقصود، فلم ذكروه فى كلامهم ؟

لا نستطيع أن ندعى التسوية الكاملة بين التعبيرين[٣] ترك المبدل منه وطرحه ، و ذكره في النظم ووضعه.

والوجه ــ والله أعلم ــ أن بناء الكلام على البدل هنا أوقع فى النفس ؛ ذلك لأنه بذكر البدل قد اقتفى به أمراً جديداً ، فاختلف المتعلق، وبهذا قد أفاد معنى جديداً ، وهذه طريقة لبناء التراكيب وتعلق بعضها ببعض .

وقد ذكر المتلمس فى النظم ما يدل على عظيم المصيبة ، وجلل الخطب الذي نزل بنعامة، ويؤكد شديد انفعاله بالأحداث ، ومع هذا لم يثنه ذلك عن

---

[١] ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٢٥ .

[٢] ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦٠، والتبريزي ١٠٣/٢.

[٣] ينظر من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب د محمد أبو موسى ٩٥ط الثانية ١٤١٦هـ١٩٩٦م - وهبة.

طلب ثأره وإدراكه من واتريه ، ألا ترى كيف أفاد التضعيف (صرّع) المبالغة فى تقتيلهم ، ففي التضعيف معنى تكرر الفعل والمبالغة فيه[١] .

كذلك ما فى كلمة الرهط من دلالة على شدة القرب منه ، فضلاً عن كثرتهم ، يقول أبو هلال: " والرهط :الجماعة نحو العشرة يرجعون إلى أب واحد ، وسموا رهطاً بقطعة شققت سيوراً ولم تقطع أطرافها ، مثل الشرك ، فتكون فروعها شتى وأصلها واحد...[٢] " وجواب(لما) ــ قوله :(تبين فى أثوابه كيف يلبس) ــ فيه اكتفاء بالسبب عن المسبب ؛ حيث ذكر الحيلة التي احتال بها حتى أدرك ثأره ، فدل على التوصل إلى المقصود بذلك عن طريق المجاز المرسل لعلاقة السببية ، بياناً لطريق بلوغ الغاية ، وأن إدراك الغرض يكون بأدنى طريق.

٦- ألم تر أن الجون أصبح راسيا ∴ تطيف به الأيام ما يتأيس

٧- عصى تبعا أيام أهلكت القرى ∴ يطان على صم الصفيح ويكلس

ترتيب هذين البيتين فى الديوان يختلف عن ترتيبهما فى حماسة أبى تمام ؛ ذلك أن موقعهما فى الديوان عقب قوله :(نعامة...) بخلاف حماسة أبى تمام ، حيث جاءا عقب قوله: (فما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا...)، وترتيب الديوان أولى وأدق ؛ لأنه فى معرض الاستشهاد على رد الظلم وإباء الضيم ، فهذا من ذاك.

وعليه فالفصل هنا ؛ لأنه فى معرض تعداد الشواهد على إباء الضيم ، وليس لمجرد اختلاف الجملتين فى الخبرية والإنشائية ، فذاك أمر لفظي لا

---

[١] ينظر الخصائص لابن جني ١٥٢/٢ باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني تح/النجار-المهدي للطباعه.

[٢] الفروق اللغوية ٣١٤.

يعود إليه فصل ولا وصل ؛ ذاك أن استلزام الفصل تبعا للمعاني المرادة ، والأغراض التي تؤم، لا لأمر لفظي.

والاستفهام فى قوله:(ألم تر أن الجون...) تقريري بمعنى : اعلم أن الجون أصبح راسياً ، فهو يؤول إلى معنى الخبر ، وليس إلى حمل المخاطب على الإقرار.

وفضل بناء النظم على الاستفهام التقريري ــ على معناه الأول ــ من دون الخبر هو الإيماء إلى أن مضمون الجملة أمر مسلم معلوم عند المخاطب ، بحيث لا يشك فيه ، ولذلك إذا استقصيت مواقع الاستفهام التقريري فى الكلام وجدته حيث يكون المتكلم معتقداً ذلك المعنى ، أو في الأمور المعلومة المشهورة التي كأنها مركوزة في الطباع.

وليس المراد من ضمير الخطاب فى قوله:(ألم تر)مخاطباً معيناً = خلافاً لمقتضى الظاهر من التعريف بضمير الخطاب ؛ إذ الأصل فيه ــ كما ذكر البلاغيون [١] ــ أن يكون لمخاطب معين، واحداً كان أو أكثر؛ لأن وضع المعارف على أن تستعمل لمعين ، فضلاً عن أن الخطاب هو توجيه الكلام إلى حاضر فيكون معيناً = ولكن الضمير هنا قد خرج على خلاف ذلك الأصل للإشارة إلى عمومه وأنه غير معين ؛ قصداً إلى المبالغة فى ظهور الأمر ووضوحه [٢] .

وهذا ما عناه المتلمس ، فدل على أن أمر ذلك الحصن قد صار من الشهرة والوضوح بحيث لا يختص به راء دون راء ؛ لأن قصته وأمره قد صارا ذكراً بين الناس وأحدوثة بينهم ؛ لأنه استعصى على تبع حين أهلكت بقية

---

[١] ينظر : المفتاح / ١٨٠ ، والمطول ٢٤١/٢، ٢٤٢، والشروح ٢٩١/١.
[٢] ينظر : الإيضاح / ٢٤.

القرى ، فعرف أمره واشتهر.

وعموم ضمير الخطاب هنا قد جاء واقعاً على فعل الرؤية(ألم تر) والعجب أنك تجد فعل الرؤية (ألم تر) يكثر فيه عموم الخطاب في النظم العالي ، حيث تجده مطرداً في الذكر الحكيم في سياق الأمر المعلوم عند التقرير بنعم الله وآلائه التي لا تخفى على أحد ، تدبر قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾[إبراهيم: ١٩] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾[الحج : ٦٣]،وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[الحج : ٦٥] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾[النور: ٤٣]

وقوله:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[لقمان: ٢٩ ، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾[لقمان: ٣١] وقوله:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾[فاطر: ٢٧] تجد العموم باد من تلك النعم التي لا يختص بها واحد من دون آخر .

وكذلك تجده في الذكر الحكيم في التوجه إلى المشاهد البارزة التي من شانها أن يتوجه إليها كل من يرى، تدبر قوله تعالى :﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟

يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنعام: ٢٧]

، وقولـــــه: ﴿﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنعام: ٣٠]

وقولـــــه : ﴿﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام: ٩٣] تجد العموم باد من التهديد والتخويـــف... وهو ما يتلاقى مع حذف الجواب[١] .

ولعل سر اختصاص فعل الرؤية (ترى) بالعموم هو ما فيه مـــن اســـتلزام وجود المرئي ، فضلاً عن كونه معلوماً ضرورة مما يفيد اشتهاره ووضوحه[٢] حتى يصح أن يقع عليه كل راء ، وهو مقتضى العموم في الخطاب[٣].

وكذلك تجده فى كلامهم فى معرض العموم ، تدبر قول زويفر بن الحارق بن ضرار :

ألم تر أنى يوم فارقت مؤثرا أتاني صريح الموت لو أنه فعل [٤]

تجد العموم باد من النظم للدلالة على اشتهار فعل الرؤية بحيث لا يختص بها أحد .

---

[١] ينظر المعجم المفهرس(ترى)، اعتراضات الشيخ الطاهر البلاغية في التحرير والتنوير عرض وتأصيل ودراسة (علم المعانى)دكتوراه للباحث على عبدالحميد أحمد عيسى كلية اللغة العربية أسيوط ١/ ١٧٥.

[٢] ينظر الفروق ٧٥ .

[٣] ينظر اعتراضات الطاهر ابن عاشور البلاغية ١/ ١٧٦.

[٤] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٠١٩.

وقوله : (الجون) بتعريفه بالعلمية ليعينه لمخاطبه،وهذا أدعى إلى تأكيد كلامه وعدم الشك فيه، فهو حصن معلوم باليمامة وأخباره في استقصائه معلوم.

واصطفاء(راسيا) للدلالة على رسوخه ، واستقراره ، وعظمه ، وثبات أصله ، من رسا الشيء إذا ثبت أصله ، والرواسخ : الثوابت التي لا تبرح مكانها ، ولا يطاق تحويلها ؛ لعظمها... [١] قال أبو هلال: الرسوّ لا يستعمل إلا في الشيء الثقيل ، نحو الجبل وما شاكله من الأجسام الكبيرة ، فالرسوّ هو : الثبات مع العظم والثقل والعلو ...[٢]، وفي صيغته إشارة إلى دوام ذلك واستمراره .

ولذا فإيثار(راسيا) أنسب بسياق مدحه وتعظيمه وتأبيه الضيم ؛ لأنه يتعدى مجرد الثبات إلى الدلالة على العظم والعلو، ولهذا يأتي مع السفينة كما في قوله – تعالى- :﴿بسم الله مجراها ومرساها ()﴾ هود ٤١تشبيها بالجبل لعظمها ، ومع النفوس دلالة على علوها وعظمها ، كما في قول الشاعر :

إذا ما قلوب القوم طارت مخافة ∴ من الموت أرسوا بالنفوس المواجدا

فالمراد أثبتوها إثباتا لا تحلحل معه ولا تموج ، وعلى هذا قولهم الجبال الراسيات[٣] .

بخلاف رواية...) :أصبح راكدا(،فإن في الركود دلالة على الثبات دون العظم،قال ابن منظور":كل ثابت في مكانه فهو راكد " [٤] ، وقال الرازي:

---

[١] ينظر اللسان:ر س ا،تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٢٠٦/٧تح/محمد زكريا يوسف مط دار العلم للملايين بيروت ط الأولى ١٩٩٠م .
[٢] ينظر الفروق اللغوية ٢٥٥،٢٥٦.
[٣] ينظر: شرح ديوان الحماسة ٤٩٩،٥٠٠.
[٤] اللسان ر ك د،وينظر الصحاح للجوهري ٣٩/٣.

"الرواكد الأثافي مشتق من ذلك لثباته" [١] .

واصطفاء (تُطِيف) يؤكد علوه وعظمته ، ويقوي تأبِّيه وصلابته ؛ لدلالتها على كثرة الأحداث حوله ، وتوالي الشدائد عليه ،وإحاطتها به ، ومع ذلك لا يلين ولا يتغير،بل لا يتأثر أو يتصاغر.

وإسناده - (تُطيف) - إلى الأيام التي هي زمن لوقوع الأحداث، مجاز عقلي علاقتة الزمانية؛ لإرادة المبالغة في تعاقب الأحداث عليه حتى إنها استغرقت جميع الزمن ، بخلاف ما لو قال: تطيف به الأحداث في الأيام لدل على أنها قد وقعت في زمن دون آخر .

واصطفاء(يتأيس) - هنا - وتسليط النفي عليه يتلاقى مع عظمة (الجون) وعلوه وصلابته ؛ إذ المادة تدور حول التغيُّر والتأثر والتصاغر[٢].

وإيثار المضارع (تطيف ، يتأيس) يؤكد هذا المعنى ويعززه ؛ لدلالته على توالي الأحداث وتجددها مع شدتها ، وفي المقابل على صلابته وقوته ، واستمرار علوه وعظمه وعراقته ، وشمول ذلك جميع الأزمان - ما كان وما يكون - ، فضلا عن استحضار تلك الصورة البديعة التي تؤكد ذلك .

والنفي بـ (ما)في قوله: (ما يتأيس) غير قوى ، و الأولى النفي بـ (لا)؛ ذلك لأن(لا)جواب استفهام، و(ما)جواب عن الدعوى[٣]، وليس ثمة دعوى ـ هنا ـ وإنما الكلام مبنى على تقدير استفهام بعد قوله :(تطيف به الأيام) إذ يثير سؤالاً عن أثر الأيام فيه ، وهل أثرت فى صلابته وقوته ؟ فضلا عن أن

---

[١] مختار الصحاح للرازي (ر ك د) تح/ محمود خاطر طبعة جديدة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
[٢] مقاييس اللغة لابن فارس ١/٦٢،١٦٥تح/عبد السلام محمد هارون ط اتحاد الكتاب العربي ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، اللسان (أ ي س).
[٣] ينظر الفروق / ٣٤٩ .

النفي بـــ (لا) يفترق عنه بـــ (ما) من حيث القوة والضعف والزمن ، فـــزمن النفي بـــ (ما) يكون في المضي بخلاف (لا) فهي لنفي الاستقبال الذي يستلزم استغراق الزمن كله والأحوال جميعهـــا ، ولا ريـــب أن اســـتغراق الأزمنـــة والأحوال أدل على الغرض المراد وأكثر اعتلاقا بتمجيد"الجون"وتعظيمـــه ؛ لاسيما وأن المتلمس قد دل على اشتداد الأحداث وتواليهـــا عليـــه باصـــطفاء (تطيف) و بناء النظم على المجاز العقلي كما مر آنفاً.

ولذلك ترى الكلام هنا مبنياً على الفصل ؛ إذ فصل بين قوله : (تطيف بـــه الأيام) ، وقوله :(ما يتأيس) ، وذلك لأحد وجهين :

- إما لشبه كمال الاتصال،حيث إن قوله: (تطيف به الأيام) يثير سؤالاً عن مدى تماسكه وقوته بعد توالي الأحداث الشداد عليه ، وقوله: (ما يتأيس) يصلح أن يكون جواباً عنه ، وهذا ما يعرف بالاستئناف البياني[١] .

وهذا الفصل للاستئناف البياني يربط الكـــلام بعضـــه بـــبعض ، ويجعلـــه موصولاً فى ذهن المتلقي ، فلا يفوت اتساق الكلام .

- وإما أن يكون الفصل لكمال الاتصال ؛ على أن الجملة الثانيـــة تأكيـــد للأولى ؛ لأنه ذكر فى صدر البيت ما يدل على ثباته وعدم تغيره فى قولـــه : (أصبح راسياً تطيف به الأيام) بناء علـــى أن قولـــه : (تطيـــف بـــه الأيـــام) وصف،أو خبر بعد خبر[٢] ، فهو من تتمة الحديث عن ثباته وقوتـــه ، وبهـــذا يكون قوله : (ما يتأيس) تأكيداً له.

٧ -عصى تبعاً أيام أهلكت القرى ∴ يُطان على صُمٍّ الصَّفِيح ويُكْلَس

---

[١] ينظر الشروح ٣/٥٦،٥٧.
[٢] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦١، التبريزي٢/١٠٣.

هناك اختلاف في البناء التركيبي لهذا البيت ، إذ روي بوجوه أخرى ، فروي (...أزمان أهلكت القرى)، (يطان عليه بالصفيح) ،(يطان على مثل الصفيح)[١] .

وهو امتداد لسابقه فى بيان ثباته وتمرده،إذ دل على قوته وفضل ثباته بقوله:(عصى تبعاً) والعصيان: أصله أن يمتنع عصاه ، وهو خروج عن الطاعة[٢]،وهو بهذا المعنى خاص بالإنسان، وإسناده إلى الحصن هنا على سبيل الاستعارة المكنية،وقوله:عصى رمز لها ولازم من لوازم المستعار منه .

وفى هذه الاستعارة تخييل وتصوير للحصن فى صورة إنسان يمتنع ويعصي ، فضلا عما فيها من الدلالة على قوته وصلابته ؛ لأنه مشتق من (العصا) وفيها معنى القوة والمنعة والإباء ...

و(تبع) واحد التبابعة وهم ملوك اليمن[٣]، وإنما ذكره هنا ليدل على المبالغة فى ثباته وصلابته؛ لأنه إذا استعصى عليه، فهو على غيره أكثر عصياناً، وأشد ثباتاً على سبيل الأولى .

وبناء الفعل للمجهول: (أهلكت القرى)للمبالغة في دمارها وهلاكها ، حيث ركز على الفعل نفسه بما يدل عليه من شمول الدمار وعمومه[٤]، فضلاً عن معنى الفساد والفناء... حتى كأن الهلاك يأتي القرى من جوانبها وأقطارها المختلفة.

هذه رواية الديوان ورواية المرزوقي (أزمان أهلكت القرى) وهي وإن دلت

---

[١] ينظر هامش الديوان ١١٩ وما بعدها.
[٢] المفردات ٣٣٧.
[٣] وقيل هو لقب لملوكها،ولا يسمى به إلا إذا كان معه حمير وحضر موت،ينظر هامش ديوانه ١١٩.
[٤] ينظر الفروق ١٢٠.

على طول مدة تمرده وعصيانه،إلا أن إيقاع العصيان على تبع مما يضعف ذلك،بل يسقطه ؛لأن الواحد لا يكون إلا في زمن واحد.

والشطر الثاني بيان لما يحفظه ويقويه أمام حوادث الأيام ، حيث ذكر مادته التي بني بها ، ولذلك فصلت الجملة الثانية من الأولى للاستئناف البياني ، حيث أثارت الجملة الأولى سؤالاً عما يقويه ويشده فجاء قوله:(يطان على صم الصفيح ...) بياناً لمادته القوية .

ويمكن أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى ؛ لأنه إذا كان مبنياً من الحجارة والصفيح فلا يلين لغامز ، ولا يضعف لغاز ...

و (يطان) : يختم بالطين[١] ، و(الصفيح) : الحجارة العريضة [٢]، و (الكلس) :الصاروج يبنى به ،وقيل : ما طلي به حائط أو باطن قصر شبه الجصّ من غير آجرّ، والتكليس:التمليس فإذا طُلي ثخينا فهو المُفَرْقَد [٣]، أي :يطان على الحجارة العراض الصلبة ويطلى بالكلس،وفي ذلك قوة على قوة،هذه رواية الديوان ،وروى المرزوقي[٤] ،والتبريزي[٥] في شرحهما ديوان الحماسة(يطان عليه بالصفيح ويكلس) ، أي: يُجعل بدل طينه في الإصلاح والعمارة الكِلس بالحجارة [٦] ، وهذا أوفق وأدل على الغرض المراد من الكلام ؛ لأن المتلمس يريد أن يبين ما يقويه ويشده ، عن طريق بيان أن مادته التي بني بها-الصفيح والكلس - تغاير ما يبنى به سائر البيوت ؛ ليضفي عليه مزيدا

---

[١] ينظر اللسان (ط ا ن).
[٢] ينظر اللسان (ص ف ح).
[٣] ينظر : اللسان ،ومختار الصحاح (ك ل س).
[٤] ص ٦٦١.
[٥] ١٠٣/٢.
[٦] ص٦٦١.

من الثبات والصلابة ، فضلا عن البهاء والرونق والوجاهة...

ويجوز أن يكون (بالصفيح)في موضع الحال، أي : يطان ويكلس بصفائحه،وهو مبن بالحجارة [١].

أما رواية (يطان على مثل الصفيح) فإنها تغض من قوته بجعل مادته مثل الصفيح ، لا الصفيح كما في رواية الحماسة ، ولا صم الصفيح كما في رواية الديوان .

قال التبريزي :" ومعناه أنه يبنى على المياه التي هي الصفيح و الصفيح :السيوف واحدها صفيحة،ويشبه الماء إذا كان صافيا بالسيف ، وذكر الماء وأراد العمارة لأنها به تكون[٢] ".

وبناء الأفعال : (أهلكت،يطان، يكلس) للمجهول؛ للتركيز على الحدث نفسه ، توصلاً إلى المبالغة في الوصف الذي اشتمل عليه الفعل ، فضلا عما في ذلك من معنى طواعية الحدوث ، حتى كأنه يحدث وحده.

الجزء الثالث : تحدي النعمان والسخريم منه وتهديده الأبيات (٨،٩)

٨ -هلم إليها قد أثيرت زروعها ∴ وعادت عليها المنجنون تكدس

العلاقة بين هذا البيت وسابقه وإن بدت ضعيفة ؛ حيث خاطب في هذا البيت ــ لأول مرة ــ النعمان بن المنذر[٣] ولم يتقدم له ذكر فى القصيدة ،إلا أنها قوية وبينة عند أدنى

---

[١] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦١.
[٢] ١٠٣/٢.
[٣] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦١،التبريزي ١٠٣/٢.

تأمل ؛ ذلك أن الأبيات السابقة فى البعث والحض على دفع الضيم ، وكيف احتال من استضعف حتى أدرك ثأره ــ كما علمت قبل ــ وهذا البيت نسج على ذلك ؛ لأن الكلام تهكم وسخرية بالنعمان ، فهو موصول بسابقه فى أن الغرض التبجح بالمخاطر وركوب المصاعب فى سبيل نفي الضيم ، حيث فارق المتلمس أرضه ووطنه ولم يرض بالضيم عند النعمان ، وقد كان من عقائدهم وعاداتهم عدم الإقامة في دار الهوان ، وتركها خرابا وقاية للنفس ، ألا ترى قول سعد بن ناشب :

وأذهل عن داري وأجعل هدمها ∴ لعرضي من باقي المذمة حاجبا

وقول الآخر:

ولسنا بمحتلبين دار هضيمة ∴ مخافة موت إن بنا نبت الدار[1]

والفصل بين قوله:(هلم إليها قد أثيرت زروعها) فى هذا البيت وبين سابقه قد يبدو لأول وهلة أنه لكمال الانقطاع ؛ حيث إن قوله :(هلم إليها) إنشاء لفظاً ومعنى ، فهو اسم فعل أمر بمعنى أقْبِل ، والبيت السابق خبر لفظاً ومعنى فهو إخبار عن حصن الجون فى قوله :

عصى تبعا أيام أهلكت القرى ∴ .....البيت

ولكن الوجه ــ والله أعلم ــ وإن كان التعليل السابق مما يقال به -هو أن الفصل لاختلاف وجه الكلام وغرضه،حيث انتقل من الحض والحث على رد الضيم والظلم ، إلى الارتقاء إلى السخرية والتهكم .

والأمر فى قوله: (هلم إليها) قد خرج من معناه الحقيقي الذي هو طلب

---

[1] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٩.

الفعل إلى أحد معنيين - : إما أن يكون لإرادة التهكم والسخرية ، بمعنى إن قدرت عليها فاقصدها فإنها أخصب ما يكون ... مزدرعُها مثارٌ... ودواليتها تدور ، وهذا تأويل المرزوقي[١] .

والاستخفاف أو التهكم والسخرية يأتي دائماً في مقام عدم الاعتداد بالمأمور[٢]، وهذا يدل على ما ذكرناه آنفاً من أن الكلام مبنى على الترقي .

- وإما أن يكون الأمر للتهديد والتخويف ، والتهديد كما ذكر القوم يكون في مقام عدم الرضا بالمأمور به[٣]،ويكون بمصاحبة وعيد مبين أو مجمل ، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[فصلت: ٤٠]

فقرائن الأحوال تدل على إرادة الوعيد لا الإهمال[٤] .

وقرائن الأحوال هنا تدل على إرادة التهديد ؛ ذلك أنه أتبع الكلام بقوله :

وذاك أوان العرض حي ذبابه ∴ زنابيره والأزرق المتلمس

يكون نذير من ورائي جنة ∴ ويمنعني منهم جلي وأحمس

فذكر ما يمنعه منه وينصره ، فهو بهذا يخوفه ويهدده .

والأصل في ضمير الغيبة أن يتقدم له ذكر في الكلام وإلا كان فيه تعمية وإلغاز ، إلا أنه قد يأتي من غير تقدم ذكر له لإرادة معاني متعددة ، ككونه حاضراً في النفس لا يغيب عنها ، حتى إنه يستحضر عند ضميره، وإما لإرادة تفخيمه وتعظيمه .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦١، ٦٦٢.
(٢) اعترضات الطاهر بن عاشور البلاغية ٨٤٨/١.
(٣) الدسوقي٣١٤/٢.
(٤) ينظر اليعقوبي ٣١٤/٢،التحرير والتنوير ٢٤/٢.

والضمير فى(إليها) يعود إلى اليمامة[١]،وكذا في قوله: (زروعه) و(عليها)، ولم يتقدم لها ذكر فى القصيدة ، وذلك يرجع إلى أحد أمرين :

ادعاء تعينها من وصفها بالخصب ، وفى هذا إيماء إلى أنها وحدها كذلك.

وإما لدلالة البيت اللاحق عليها فى قوله :

وذاك أوان العرض حي ذبابه ∴ زنابيره والأزرق المتلمس

فالعرض واد باليمامة ، ويكون فى الضمير ثم بيانه فى البيت التالي ما يقرب من البيان بعد الإبهام حتى تتطلع النفس وتتشرف إلى معرفة مضمونه والمراد منه ، فإذا جاء مبيناً تمكن فى النفس فضل تمكن .

وجملة(قد أثيرت زروعها) تعليل للأمر السابق ؛ ففيها إغراء له بالإقبال عليها ؛ لما فيها من الخصب والسعة ...، ولهذا فصلت عن سابقتها ؛ لأنها جواب عن سؤال اقتضته الأولى حيث تستشرف النفس من العلة والسبب في القدوم إليها خاصة ، فيأتي قوله: (قد أثيرت...) جواباً له ؛ ولذلك أكد الجملة بقد ؛ لأنه فى معرض الجواب وشفاءُ النفس من تطلعها إلى العلة ، وهذا يحتاج إلى فضل تأكيد ، وروي : (أبيثت زروعها)، والإباثة : الإثارة [٢].

وجملة (وعادت عليها المنجنون ...[٣]) معطوفة على(قد أثيرت...) مشاركة لها في تعليل الأمر بإتيانها والإغراء بالإقبال عليها، مما شأنه أن يقوّي الرغبة فيها والحرص عليها.

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦١،التبريزي ١٠٣/٢.

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٠٣/٢ ، ١٠٤ .

(٣) المنجنون: الدولاب التي يستقى عليها.ينظر:مختار الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية"منجن" ، واللسان"منجنون"

وقد بالغ المتلمس فى ذكر الخصب والسعة فى اليمامة بما يغرى النعمان بها ، فذكر أمرين :

أولاً : قوله : (قد أثيرت زروعها) ، فبنى الفعل للمجهول ؛ حتى كأنها قد خرجت من نفسها على اختلاف جوانبها ، وتعدد أشكالها .

ثانياً : قوله: (وعادت عليها المنجنون تكدس) وهذا يضمن بقاء زروعها نامية وأرضها مخضرة ... ولهذا آثر (تكدس) أي : يركب بعضها بعضاً فى الدوران ؛ دلالة على كثرتها وسرعتها .

ورواية الأغاني (ودارت) [١] وهي أقوى وأعلق بالحديث عن السقي ، وأوفق وأنسب بالمنجنون فضلا عن تلاقيها مع قوله : (تكدس) في القافية.

٩ - وذاك أوان العرض حي ذبابه ∴ زنابيره والأزرق المتلمس

هذا البيت من تتمة ما ذكره سابقاً من خصب اليمامة وما فيها من زرع وماء ، ولذا وصل بين الكلامين بالواو ، ليدل على اشتراكهما معاً فيما يغرى بالقدوم إليها .

ولهذا حسن الوصل هنا ؛ لتناسب المعاني بين الجملتين ، وهذا ما ذكره الإمام :لا تجئ -أي الواو -حتى يكون المعنى فى هذه الجملة لفقاً للمعنى فى الأخرى ومضافا له[٢].

واسم الإشارة (ذاك) موضوع ــ فى أصله ــ للبعيد ، ولكنه أشار به هنا

---

[١] الأغاني ٢٤/

[٢] ينظر الدلائل ٢٢٥.

إلى العرض ــ وهو واد باليمامة ــ وهو فيها،يراها ويشم رياضها... فكيف جاء باسم الإشارة (ذاك) ؟

الحق أن (ذاك) وإن كان فى أصله للبعيد حساً إلا أنه يخرج إلى مقتضى البعد من معاني متعددة يعين عليها المقام ، ويدل عليها الكلام .

فالشاعر ــ هنا ــ غريب فى اليمامة ، ظاعن عن أهله ، ينادى ناقته وقد حنت إلى نخلة القصوى موطنها فى العراق .

حنت إلى نخلة القصوى فقلت لها ∴ بسل عليك ألا تلك الدهاريس

أمي شآمية إذ لا عراق لنا ∴ قوم نودهم إذ قومنا شوس

فهو وإن كان بين جدران اليمامة إلا أنه بعيد عنها بنفسه وحسه ، ثم إن فيما ذكره من خصب وبساتين فيها يجعل التعظيم قريباً متناولاً ، لاسيما وأن أسماء الإشارة يقصدها البلغاء بحسب مناسبة الألفاظ[١] .

والمعنى الثاني أقرب إلى السياق ؛ لأن غرضه أن يدل على ما ذكره سابقاً من خصب هو في(هذا الأوان)وهذا يفيد تعظيمه ، وهو ما يدل عليه البعد (ذاك) [٢].

واستشهد المتلمس على خصب المكان وتفتح زهره... بعيش ذلك النوع من الذباب فيه ، فى قوله :

(حي ذبابه) وهم يدلون على ذلك بطنين الذباب فى الروض ، كما قال الشاعر فى وصف مغنية :

---

[١] ينظر حاشية عبدالحكيم على المطول ٢٨١/٢.
[٢] ينظر شرح ديوان الحماسة ٦٦٢.

وترفع الصوت أحيانا وتخفضه ∴ كما يطن ذباب الروضة الفرد

واصطفاء (حيّ) يقرر هذا المعنى ؛ لأنه من أحيا القوم : إذا صاروا في الحيا ، وهو الخصب[١] ، قال المرزوقي: "حيّ ذبابه : أي :عاش بالخصب فيه[٢] " ، ويروى(جُنَّ ذبابه)، أي : كثر ونشط[٣] ، والأول أكثر اعتلاقا بسياق الكلام وغرضه .

وارتفع(زنابيره)على أنه بدل من الذباب ، وكما سبق فليس المبدل منه في نية الطرح - كما ذهب النحاة -، ولا يمكن التسوية بين ذكره في النظم وطرحه ؛ لأن في ذكره – قطعا - معنى جديدا ، ومن ثم فهي طريقة - في بناء التراكيب - أوقع في النفس لما يؤخذ من معنى البدل من معنى جديد[٤] .

والمراد بها : ذباب الروض ، و(الأزرق المتلمس) إشارة إلى جنس آخر غير الأول ، وهو ما كان أخضر ضخما[٥] .

الجزء الرابع : الرجوع إلى دفع الضيم ،وبيان ما هم عليه من الإباء البيتين (١٠،١١)

١٠ - فإن يقبلوا بالود نقبل بمثله ∴ وإلا فإنا نحن آبى وأشمس

هذا البيت موقعه في الديوان على ما ترى ، عقب قوله:وذاك أوان العرض ، والأوفق أن يكون ترتيب الأبيات كما هو عند أبى تمام ، وهو هكذا :

---

(١) ينظر تاج اللغة وصحاح العربية (ح ي ي).
(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦٢.
(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦٢.
(٤) يراجع البحث ص
(٥) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٦٢،والتبريزي ١٠٤/٢.

يكون نذير من ورائي جنة ∴ وينصرني منهم جلى وأحمس

وجمع بنى قران فأعرض عليهم ∴ فإن يقبلوا هاتا التي نحن نوبس

فإن يقبلوا بالود نقبل بمثله ∴ وإلا فإنا نحن آبى واشمس

وإن يك عنا فى حبيب تثاقل ∴ فقد كان فينا مقنب ما يعرس

وبهذا الترتيب تتضح العلاقة بين الأبيات ، وكيف تسلسلت الأفكار عند المتلمس ، حيث إنه قد هدد النعمان فى البيت الثامن (هلم إليها...) وذكر فى الأبيات قرائن التهديد أو السخرية ، فإن هناك من ينصره عليه ويمنعه منه ، وهو ما يدل عليه البيت العاشر :

يكون نذير من ورائي جنة ∴ .....البيت

ثم التفت إلى بنى قران بكلام آخر جديد ، ولكنه فى الغرض العام من القصيدة، وهو نفى الضيم وركوب الإباء .

وعلى هذا يكون العطف بالفاء ــ على تلك الرواية ــ ظاهراً جلياً ؛ إذ هو مرتب على قوله :

..... فاعرض عليهم ∴ فإن يقبلوا هاتا التى نحن نوبس

والتقييد بـ (إن) جاء على أصله من إرادة الندرة والقلة فى حدوث الشرط ، وترى المتلمس قد اطرد معه التقييد بـ (إن) فى المواضع جميعها - فى قوله : (فإن يقبلوا بالود ...) ، وقوله : (فإن يقبلوا هاتا التي نحن نوبس ...)، وقوله : (فإن يك عنا فى حبيب تثاقل...) - ومرجع هذا ــ والله أعلم ــ إلى أن متعلق الشرط فى المواضع الثلاثة عزيز ونادر ، فإن الوقت وقت نزاع

وخصومة ، وقل من يقبل بالود فيها ...

وهذا هو الأصل فى(إن) فإنها تكون فى موضع الشك فى حدوث الشرط ، وتوهمه وظنه [١].

وجاء فعل الشرط(يقبلوا) مضارعاً على أصل وضعه ؛ لأن مقتضى الشرط بـ (إن) أن يكون فيما يستقبل من الزمان؛ذلك لأن التعليق المستفاد منها هو الذي إذا حصل فى الاستقبال حصل في غيره[٢].

وإيثار القبول ـ هنا ـ فى غاية البلاغة ؛ لأنه يقع حكمة ومصلحة ، بخلاف الطاعة فقد تقع رغبة أو رهبة[٣].

وهذا يتلاءم مع قوله : بالود ؛ لأنه يكون فيما يوجبه ميل الطباع[٤] ، وهذا يتفق مع القبول ؛ لأن فيه حكمة ومصلحة .

وجواب الشرط (نقبل بمثله) هو عين الشرط ، وهذا يدل على المساواة التامة بينهما فى حال الود ؛ تنزلاً إليهم ، حقناً للدماء ، وصوناً للود .

ولذلك آثر المتلمس (مثل) فى قوله : (بمثله) ؛ لأنه أراد التكافؤ في الذات[٥] من وجوه متعددة .

وهناك فرق فى التعبير بين إدخال الباء وإخراجها من الكلام، فقوله: (نقبل بمثله) يفيد معنى لا يتأتى مع :(نقبل مثله) ذلك لأن الباء أفادت معنيين :

أولهما :تأكيد الحدوث ، وهم يزيدون الباء لإرادة التأكيد ، كما فى

---

(١) ينظر: المفتاح / ٢٤٠ ، والإيضاح / ٥٣ ، والشروح ٣٩/٢ وما بعدها .
(٢) اليعقوبى ٥٦/٢ .
(٣) الفروق / ٢٥٠ .
(٤) الفروق / ١٢٠ .
(٥) الفروق / ١٧٤ ، والمفردات/ ٤٦٢ .

قول الشاعر[١] :

هن الحرائر لأرباب أضمرة ∴ سود المحاجر لا يقرأن بالسور

وتأكيد الجواب مراعاة لحال المخاطب ؛ لأن ذلك من الوعد والضمان ، وهذا من مواضع التأكيد كما ذكر الإمام[٢] .

ثانيهما : يمكن أن تكون الباء هنا قد أفادت حمل النفس على القبول ، وإلزامها إياه، فهم قد كلفوا نفوسهم ما لا ترضاه وتستسيغه ، ولكنهم أرضوا أنفسهم به .

وحذف فعل الشرط في قوله : (و إلا فإنا نحن آبى وأشمس) لدلالة الكلام السابق عليه .

وفى هذا الحذف إيماء إلى استبعاد عدم القبول بالود ، لاسيما وأنه قد عرضه عليهم فهذا أدعى للقبول ، كما تجد في الحذف كراهية من المتلمس في عدم قبولهم ذلك ؛ لما فيه من تجدد العداوة واشتعالها .

وأكد جملة الجواب بـ (إنا) ليدلَّ على تحقيق الوعد وثبوته ، ولهذا جاء الجواب جملة اسمية؛ ليدل على الثبوت والدوام ؛ إذ يمكن أن يقول ، وإلا فلا نقبل – مثلاً - ولكن في العدول إلى الجملة الاسمية هنا ترقيا في الجواب ، وزيادة عليهم فيه .

وعطف (وأشمس) على (آبى) يمكن أن يكون من عطف الشيء على نفسه ؛ لأن الشماس بمعنى الامتناع ، يقول المرزوقي : " والشماس : الامتناع ،

---

[١] الراعى النميرى ، ينظر : أدب الكاتب لابن قتيبة / ٤١٧ ، والخزانة ٦٦٧/٣ .
[٢] ينظر : الدلائل /١٣٤.

ومنه : شماس الدابة ، وهو ألا يمكن من الإسراج والإلجام[١] "وكذلك الإبـــاء بمعنى الامتناع ، وفى هذا جري على سنن التأكيد فى الجواب..

وهذا الوجه لا يقوى على إبراز ما قصده المتلمس...

والوجه - والله أعلم - أن يكون العطف بالواو هنا من قبيـــل الترقـــي مـــن الأدنى إلى الأعلى ؛ ذلك لأن في الشماس معنى لا يوجد فى الإباء ، فالإبـــاء مجرد الامتناع ، بخلاف الشماس ـــ عند التحقيق ـــ فهو يكون فـــي التنكـــر والهم بالشر، ولذا يستعمل فى الحرب عند لقاء الأعداء ، انظر إلى قول وداك بن نميل المازني:

نفسي فداء لبنى مازن ∴ من شمس في الحرب أبطال [٢]

فإنه أراد من (شمس) لا يحصلهم على طمع متيح ، ولا يؤديهم إلى يـــأس مريح،بل يترددون في الجذاب، فلا يزالون معهم على مراس إتعاب لا ينقطع ، ولزام شر لا يقع ، وفى طريقة بيت وداك قول عبد الرحمن بن حسان :

وإني من قوم كرام يزيدهم ∴ شماسا وصبراً شدة الحدثان [٣]

وهذا الترقي يتلاقي مع الترقي – في القصيدة - من الحض والحث على رد الضيم إلى الاستخفاف والتهكم والاستهزاء في قوله : هلم إليها قـــد أثيـــرت زروعها.....البيت.

١١- وجمع بنى قران فاعرض عليهم ∴ فإن يقبلوا هاتا التي نحن نوبس

---

[١] شرح ديوان الحماسة / ٦٦٣ .

[٢] ينظر : السابق / ٦٨٥ ، ١١٢٠ .

[٣] ينظر : السابق ٦٨٥.

هذا البيت ــ كما ذكرت سابقاً ــ أكثر تعلقاً بقوله :

وذاك أوان العرض حي ذبابه ∴ زنابيره والأزرق المتلمس

كما هي رواية أبى تمام ؛ لأنهما فى معنى نفى الضيم ، وركوب الإباء... فبينهما جامع من هذا الوجه .

وفي قوله : (وجمع بنى قران) حذف للفعل ، والتقدير : وسمّ جمع بني قران ، الفعل الظاهر تفسير للمضمر[١]، هذا على رواية النصب (وجمعَ) ، والفعل المحذوف سبب للمذكور، وحذفه هنا فيه دلالة على الحذر فى عرضه ذلك عليهم ، حتى كأنه يهمس به إليهم .

أما على رواية الرفع (وجمعُ بني قران) فعلى الابتداء ، وتكون جملة الخبر مقرونة بالفاء (فاعرض عليهم) لأنه ضمن معنى الجزاء ، وهذه الرواية أولى ؛ لأنه أراد جعلهم فضلاً في الحكومة ، ومثلا يحتذى بهم ، فإن قبلوا ذلك تأسوا بهم ، و إلا فلا ، وهذا يومئ إلى الارتباط بين الشرط والجزاء ، وهو ما تقتضيه تلك الرواية .

وقد حذف المفعول من قوله : (فاعرض عليهم) وفسره في عجز البيت في قوله :

فإن يقبلوا هاتا التي نحن نوبس

لأن المراد فاعرض عليهم"هذه الخطة التي نكره عليها "[٢] وإنما ذكرها معهم في آخر البيت ؛ ليكون ذلك أدعى إلى نفيها عنهم ،فهو من الإثارة

---

[١] ينظر شرح ديوان الحماسة / ٦٦٣ .
[٢] ينظر شرح ديوان الحماسة / ٦٦٣ .

والتهييج ؛ لأنه يعلم أنهم لا يقبلون ذلك ، فذكره ــ هنا ــ تنفير منه ...

أما حذفها ــ أولاً ــ فلا يكفى فيه القول بدلالة الثاني عليه ، وإنما الحذف لئلا يضيف إلى قران ما يعاب ويذم... حتى لا يشعل ناراً من العداوة أخرى ، ثم لينبه إلى تهويل أمر المحذوف ، حتى كأنه يأنف ابتداء من ذكره في الكلام .

وأبهم المتلمس الخطة التي يكرهون عليها في قوله:(هاتا التي نحن نوبس) ؛ ليكون أدعى إلى تهويلها، ومن ثم التنفير منها .

وضمير الجمع (نحن) فيه معنى التعظيم ، وهذا يتنافى مع القهر على الضيم ، وكأن المتلمس قد أتى به لإرادةالجنس والعموم [1] ؛ ليعم ذلك جميع أفراد القبيلة، فهم إذا كانوا بتلك الصفات المقتضية للتعظيم فهم أبعد الناس عن الضيم والمذلة ...

والمتلمس هنا يتكلم بلسان قبيلة (بني ضبيعة) ولذا جاء بضمير الجمع فى مواضع سبعة ، في قوله: (نقبل بمثله)، وقوله: (نحن)،(نوبس)،(عنا)، (فينا).

ولهذا تجد البيت الثاني عشر في رواية الديوان غريباً في موضعه ، غير قار في مكانه ، إذ الضمائر فيه ضمائر إفراد (من ورائي) ، (وينصرني) لأنه متعلق بقوله: (هلم إليها) وما بعده ، فهو من تتمة التهديد والوعيد -كما سيأتي -

والتعريف بالموصولية : (التي نحن نوبس) طريق إلى التعريض بهذه الخطة عن طريق إبهامها ؛ استهجاناً للتصريح بها .

وإيثار(نوبس) زيادة في تحقيرها والتنفير منها ، من أبسته أي : ذللته

---

[1] ينظر البرهان ٢٣٦/٢.

وحقرته وكسرته[١]، وبناؤه للمجهول ؛ للتركيز على الحدث نفسه بغض النظر عن محدثه .

الجزء الخامس :الختم بما بدأ به من بيان عدتهم وعددهم ، واستعدادهم للقتال ،وسهرهم في بلوغ المجد

١٢ــ يكون نذير من ورائي جنة ∴ ويمنعني منهم جلي وأحمس

ذكرت أن وضع هذا البيت عقب قوله: (وجمع بنى قران) قلق وناب ، فليست هناك مناسبة بينه هنا وبين سابقه .

لذلك فترتيب الأبيات عند أبى تمام أولى ؛ لأن وضع البيت عقب قوله: (هلم إليها ...) وما بعده ، يجعل الكلام على سنن واحد ، فهو يجرى على التهديد والسخرية من النعمان ، وقوله : (يكون نذير...) دالاً على التهديد والوعيد .

كما أن رواية الحماسة (وينصرني منهم...) أقوى أوفق بسياق الكلام وغرضه ، وبشخصية المتلمس المتحفزة إلي رد الضيم ؛ لما في (يمنعني من الدلالة على حاجته إلى من يحميه ويرد عنه الضيم ، وهذا ما تأباه نفسه ، فضلا عن أن معنى (يمنعني) مفاد من قوله قبل : (جنة) .

وقدم ما يدل على فعله هو في قوله: (يكون نذير من ورائي جنة) حيث أراد بالنذير المنذر، أي : أنه يرضى لهم من ينذره بهم ، فيستجن ويتحرز.[٢]. والوجه في التقديم هو أن السياق في بيان التوصل إلى إدراك الثأر ، والاحتيال في نيل المقصود من الأعداء ، فكان تقديم ما هو من فعل نفسه أولى

---

[١] ينظر اللسان ، وتاج اللغة ، وصحاح العربية (أ ب س) .

[٢] شرح ديوان الحماسة ٦٦٣.

بذلك ، وأدل عليه .

ولذا فمن البعيد ــ هنا ــ أن يكون المراد من قوله: (نذير): نذير بن بهثة بن وهب بن حرب ، لأنه بذلك يكون قد ألقى بنفسه تبعاً لغيره ، وهو ما تأباه نفسه ؛ ولأن الكلام على وجهين :

- إما على بيان الحال قبل التجاذب واللقاء ، فهذا فعله من التحصن والتحرز والاحتيال ؛ لأن هذا يقوم به واحد ، وهذا ما يتناسب مع قوله قبل :

فإن يُقبلوا بالود نُقبل بمثله.....

- وإما على بيان حال الحرب والتجاذب عند اللقاء ، فيلزمه الاستنصار بغيره ، وهذا ما يتناسب معه قوله بعد ذلك :

وينصرني منهم جلي وأحمس

والتقييد بالجار والمجرور(من ورائي) لإرادة الكشف والبيان ، أي : الاستدلال على العناية به والاهتمام بأمره ، وأنه معنى به عندهم ، فهم من ورائه يمدونه بأخبار أعدائه ، وينذرونه عند الهم به.

والأفعال المضارعة (يكون ، وينصرني) لإرادة تجدد الحدوث آناً بعد آن ، كلما اقتضى ذلك .

وتقديم (جلي) على (أحمس) لمراعاة القافية ؛ لأنها مبنية على السين المضمومة ، فإذا خالف في النظم اختلفت القافية .

١٣- فإن يك عنا في حبيب تثاقل ∴ فقد كان فينا مقنب ما يعرس

بناء قوله: (فإن يك عنا...) على القلة ظاهر؛ إذ آثر(إن) فى الشرط وهى ــ كما علمت ــ في الشيء القليل النادر ، ثم حذف النون من (يك) لأنه أراد أدنى شيء وأقله ، وهذا مورد حذف النون من (يك) فى الذكر الحكيم ؛ حيث

تجدها فى سياق التقليل من الحدث ، انظر إلى قوله : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[النحل: ١٢٧]

فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلاً مهما قلّ ، وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء: ٤٠] حيث حذف النون ؛ تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة فى الاعتبار فإن إليه ترتيبها وتضاعيفها [١]، وكذلك الأمر هنا فى حذف النون تنبيهاً على القلة.

ثم في التعبير بضمير الجمع (عنا) المقتضى للتعظيم ، تنبيه على أن ذلك ليس من الحكمة ؛ إذ التثاقل عنهم غير وجيه لكونهم أهلاً للنصرة والمؤازرة .

ثم في تنكير(تثاقل) ليدل على أدنى شيء وأقله ، فالتنكير للتقليل ، فانظر كيف تآزر النظم على إرادة التقليل والتحقير، ليدل على أن ذلك مما لا ينبغي أن يكون وإن كان قليلا، ويرشح ذلك أن هذا البيت عتاب ، حيث كانت بنو ضبيعة ــ قوم المتلمس ــ حلفاء لبني ذهل بن عكابة فوقع بينهم نزاع فعاتبهم المتلمس ، ونبه على عدم تخلف أو تكاسل بني حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل عن طلب دمائهم وإدراك ثأرهم[٢].

وجاء بجواب الشرط مؤكداً(فقد كان فينا مقنب ما يعرس) ليدل على تحقيقه وثبوته ؛ لاسيما وأن الكلام في الوعيد والعتاب ، وهذا من مواطن التأكيد .

وتقديم المسند (فينا) على المسند إليه (مقنب) لإرادة الاختصاص ؛ لأن ذلك مناط الفخر والمباهاة ، وهو أن يكون ذلك فيهم وحدهم ، لا فى غيرهم .

---

[١] ينظر التعبير القرآني د/ فاضل صالح السامرائي٧٧ـ ٧٩دار عمار عمان الأردن ط الأولى ١٩٩٨م.

[٢] ينظر شرح ديوان الحماسة ٦٦٣ ، ٦٦٤.

والمقنب: زهاء ثلاثمائة من الخيل[١] وهذا لا يعدم في غيرهم ؛ ذلك لأن هذا العدد غير عزيز في القبائل، ولكنه أراد الحصر على سبيل الادعاء والمبالغة ، وهذا مقتضى الفخر، ولهذا قال: (فينا) ، ولم يقل :(منا) ليدل على أن هؤلاء من صميمهم ؛ لدلالة (في) على معنى الظرفية .

والفعل (كان) وإن كان معناه المضي إلا أنه أراد ثبوت الوصف لهم ؛ لأن المضي يناقض الفخر في البيت ويناكده ، فأراد بالمضي هنا أن مجدهم وعزهم قديم ، وثابت راس .

والنفي بـ (ما) في (ما يعرس) متلاق مع الدعوى المفهومة ضمنا من تثاقل بني حبيب بن كعب عنهم وعتابهم على ذلك ، وإيثار مجيء النظم على النفي ؛ لاستغراق الزمن كله و جميع الأحوال ، وهذا ما يؤكده اصطفاء التعريس وهو: نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون[٢]؛ لأن نفي القليل يستلزم نفي الكثير، أي : ما يستقرون إذا وتروا ، ولكنهم يغزون ويغيرون أبدا حتى يدركوا ثأرهم[٣] ، وذلك أكثر اعتلاقا بسياق الكلام ، وأدل على غرضه ، بخلاف ما لو قال : فقد كان منا من يسهر -مثلا - لما استلزم استغراق الزمن كله ، والأحوال جميعها.

وهذا البيت خاتمة القصيدة ونهايتها ، وهو يتلاءم مع مطلعها ؛ ذلك أن المطلع في ركوب الإباء ونفى الضيم والنقاء من العيب وإن أدى ذلك إلى الموت ؛ لأن الإنسان مرتهن بأجله ، وهذا ما ينوه به هنا ، عن طريق ذكر ما عندهم من الفرسان الذين يضحون بأنفسهم دفاعا عن الأرض والعرض ، و يسهرون طلبا للمعالي ورد الضيم .

---

(١) شرح ديوان الحماسة٦٦٤.
(٢) السابق ٦٦٤.
(٣) ينظر مختار الصحاح ، واللسان (ع ر س).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين،في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم...

وبعد ،،،

فقد حملت هذه الوريقات شيئا من الدراسة العربية لبيان من شعرها المعجب، يقينا أن معايشة نتاج المفلقين من شعراء هذا اللسان وتحليله على أسس منهج النظم عند شيخ البلاغة فيه يهدي إلى نتائج تساعد في فقهه وتذوقه.

- أولها وأوّلاها : أن التنكب لهذا السنن اللاحب الذي أصّله الإمام في دراسة بيان العربية،وتطبيق مناهج التحليل الحديثة فيه = يعد جناية على هذه اللغة الشريفة وبيانها المعجب المبين ؛ لأنها نبتت في غير ديارنا ونسل منهاجها من واقع بيان يغاير واقع بياننا...، وعليه فمهما كانت صالحة مصلحة ما في بيان قومها ، فإنها ليست إلا عقيما في بياننا لا تنتج إلا شؤما وإلباسا وتعمية ، ولست بذلك مجرِّما أو محرما قراءة مايتخذ من مناهج درس علوم اللسان الأعجمي ، وما تنتجه عبقرياتهم في شتى العلوم ، شريطة أن يكون ذلك بقلب عربي وذوق عال وحس مرهف ، إن وجد مالا يتعاند مع عقيدتنا وأخلاقنا وهويتنا ومنهاج لساننا ، وكان نافعا في فقه بياننا ، فله أن يستهدي به ويسترشد ، فإن الحكمة ضالة المسلم يبحث عنها ويقتنيها وينميها...[1].

- بين البحث كيف تلاءم مطلع القصيدة مع مقصدها ، وكيف عاد آخرها

---

[1] ينظر في ذلك شذرات الذهب دراسة عربية في بيان القرآن الكريم أ.د/ محمود توفيق ٤،٣ مط الوفاء شبين الكوم ط الأولى ١٤٢٢هـ .

على أولها ، فانتظمت في سلك واحد ، يجمعه مطلعها وتؤكده نهايتها.

- بين البحث كيف بنيت القصيدة على معنى واحد ، تناسلت منه معانيها وتفرعت عنه أفكارها وأبياتها، فجاءت وحدة متكاملة مترابطة ، تمتد وتنمو ولاتبعد عن الأصل الذي يربط أجزاءها ويقوم بناءها ؛ إذ هي كلها في إثارة الهمم والحض على دفع الضيم وركوب الإباء والقيام في وجه الأعداء .

- بين البحث دقة المتلمس في اختيار ألفاظه القريبة من حاله وبنائه فتناغمت وتناسقت على نهج يسير في مجرى المعنى الأول الذي انبثقت منه القصيدة .

- نبه البحث إلى الفروق الموجودة بين الروايات المتعددة في القصيدة مرجحا ما يتناسب وبناءها ويقوي مرادها .

- حاول البحث المقارنة بين النظم الماثل للتحليل وبين ما يحتمله من نظوم متشابهة في إبراز الغرض المراد من الكلام والكشف عن مقتضيات الأحوال ؛ لبيان مدى بلاغة المتكلم ، وتحديد مرتبته فيها ، غير أنه لم يُعن بالتحليل الجزئي للحروف والكلمات إلا بمقدار ما يعين على إبراز خصوصيات النظم الكلية من خلال جزئياته

- أثبت التحليل دقة نظم القصيدة ، وترابط أجزائها ، وتنوع بنائها وأساليبها وتآزرها في كشف مكنونات نفس قائلها ، والإبانة عن مرادها.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ،عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضاء نفسه ، ومداد كلماته ، والحمد لله رب العالمين .

ثبت بأهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم كلام رب العالمين.

اختلاف الرواية وأثره فى التوجيه البلاغ د /محمد أحمد أحمد محمد ــ مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد التاسع .

أسس التحليل البلاغي في التراث العربي أد/علي عيسى1429 -ه2008-م.

اعتراضات الشيخ الطاهر البلاغية في التحرير والتنوير عــرض وتأصــيل ودراسة)علم المعاني(دكتوراه للباحث على عبدالحميد أحمد عيسى- مخطــوط بكلية اللغة العربية أسيوط 1994م.

الأمالي في لغة العرب لأبي علــي القــالي ط دار الكتــب العلميــة بيــروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

البحث البلاغي بين النظرية والتطبيق أ د/علي عبدالحميــد أحمــد عيســى ط الثانية2009-2008-م.

بلاغة النظم القرآني في الحديث عنُ البعث للمؤلف مخطــوط بكليــة اللغــة العربية بأسيوط 2008م.

ا لبيان والتبيين للجاحظ تح فوزي عطوي ط دار صعب بيــروت-الأولــى-1968م.

تاج اللغة وصحاح العربية –الجوهري تح/محمد زكريا يوســف ط دار العلــم للملايين -بيروت -الرابعة 1990م.

تاريخ اليعقوبي المعروف بابن واضح مط الفري بالنجف 1958م.

تراجم شعراء الموسوعة الشعرية موقع يعسوب الإلكتروني .

التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان أ د أبو موسى ط الثانية1400ه-1980م مكتبة وهبة.

التعبير القرآني د فاضل صالح السامرائي 79 - 77ط دار عمار عمان الأردن الأولى 1998م.

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي تح عبد السلام هارون ط دار المعارف 1962م.

جمهرة خطب العرب أحمد زكي صفوت ٣٧/١ المكتبة العلمية بيروت من دون.

الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري موقع الوراق الإلكتروني .

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب-عبد القادر بن عمر البغدادي مط بولاق 1299م .

الخصائص لابن جني تح/النجار -المهدي للطباعة .

دلائل الإعجاز-تح الشيخ شاكر مط المدني بجدة .

ديوان تأبط شرا إعداد وتقديم طلال حرب دار إحياء للطباعة والنشر بيروت لبنان ط الأولى ١٩٩٦م .

ديوان المتلمس تح وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي ط معهد المخطوطات العربية القاهرة-الثانية 1418هـ_1997-م.

سمط اللآلئ للميمني موقع الوراق الإلكتروني.

شذرات الذهب دراسة عربية في بيان القرآن الكريم أد/محمود توفيق سعد مط دار الوفاء-شبين الكوم ط الأولى 1422هـ.

شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري مط فيصل الحلبي بدون.

شرح ديوان الحماسة للتبريزي ط عالم الكتب بيروت من دون..

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تح/عبدالسلام هارون-ط دار الجيل-بيروت 1411هـ _1991م.

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري تح عبدالسلام محمد هارون ط دار المعارف1963م.

الشعر والشعراء لابن قتيبة تح/أحمد محمد شاكر ط دار المعارف 1968م

شروح التلخيص.

طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي تح/أ محمود شاكر ط دار المعارف 1952م.

طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تح/محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة 1954 .

فحولة الشعراء-الأصمعي تح/محمد عبدالمنعم خفاجي وطه الشربيني المطبعة المنيرية 1953م .

الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري دار الكتب العلمية بيروت بدون.

لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت من دون.

مختار الصحاح للرازي تح/محمود خاطر -طبعة جديدة 1415هـ1995-م.

مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجابي ط الأولى1418هـ1998م مكتبة وهبة.

المستظرف من كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي تح مفيد قميحة ط در

الكتب العلمية بيروت الثانية ١٤٠٦هـ١٩٨٦م .

المطول لسعد الدين التفتازاني.

معاهد التنصيص للشيخ عبدالرحيم العباسي ٣٨٣/١تح محمد محيي الدين عبدالحميد ط عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث الأولى1407هـ1987م

مفتاح العلوم -للسكاكي تح/نعيم زرزور ط الأولى دار صادر بيروت .

المفردات -للراغب الأصفهاني تح محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة بيروت لبنان بدون. ..

مقاييس اللغة لابن فارس تح/عبد السلام محمد هارون ط دار اتحاد الكتاب العرب 1423هـ2002م.

من أساليب القرآن المجاز العقلي د عبدالرازق محمد فضل مط التركي من دون تاريخ.

من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب د أبو موسى مكتبة وهبة ط الثانية 1416هـ1996م.